المسائل العقدية المستنبطة من قصة أمر الملائكة بالسجود لآدم

Nodal issues deduced from the story of the angels ordering to prostrate to Adam

إعداد

د. أحمد بن صالح الزهراني

أستاذ العقيدة المشارك - جامعة الملك عبد العزيز بجدة

Doi: 10.33850/jasis.2020.120798

الاستلام: ٢٦/٨/٢٠٢٠ القبول: ١٨/٩/٢٠٢٠

المستخلص:

يتناول البحث المسائل المستنبطة من قصة السجود لآدم عليه السلام، وقد وردت في عدة مواضع من القرآن، حيث ذكرت أولا فصلا في فضل آدم والتعريف به، ثم الفصل الثاني قسمته إلى ستة مباحث ذكرت فيها المسائل المستنبطة من قصة الأمر بالسجود، فكرت في المبحث الأول: إثبات صفة الكلام لله تعالى، وفي المبحث الثاني ذكرت حكم السجود لغير الله، وفي المبحث الثالث تحدثت عن حقيقة الإيمان في الشرع، ثم في المبحث الرابع ذكرت حقيقة الكفر في المعنى الشرعي، وفي المبحث الخامس تكلمت عن إثبات القدر، وفي المبحث السادس ذكرت القياس الفاسد وأثره في فساد الدين، ثم ختمت بخاتمة ذكرت فيها أهم النتائج.

Abstract:

The research deals with the issues derived from the story of prostration of Adam, peace be upon him. It was mentioned in several places in the Qur'an, where I mentioned first a chapter in the merits of Adam and the definition of it, then the second chapter divided it into six topics that mentioned issues derived from the story of the matter of prostrating, I thought in the first topic: Proof of the quality of speech for God Almighty, and in the second topic I mentioned the rule of prostrating to other than God, and in the third topic I talked about the truth of faith in Sharia, then in the fourth topic I mentioned the truth of disbelief in the legal meaning, and in the fifth topic I talked about proving destiny, and in the sixth topic I mentioned the corrupt analogy And its effect on the corruption of religion, then stamped with a conclusion mentioning the most important results.

Doi: 10.33850/jasis.2020.120798

الفصل الأول: التعريف بآدم عليه السلام

اسمه:

آدم عليه السلام، أبو البشر، قيل إنها كنيته، وقيل أبو محمد [١] ، اختلف في سبب تسميته بآدم، فقيل لأنه خلق من أديم الأرض أي وجهها، صح ذلك عن سعيد بن جبير[٢]، واستدل له بما روي عن ابن عباس قال: خلق الله آدم من أديم الأرض كلها فسمي آدم[٣] . وصح نحوه عن أبي موسى رضي الله عنه دون ذكر سبب التسمية [٤].

وقيل: هو أفعل من (الأدمة) أي اختلاط البياض بالسواد، وأدمت بين الشيئين، أي خلطت ومنه: الأدم، وطعام مأدوم أي مخلوط، وسمي بذلك، لأنه خلق من الأركان الأربعة، ومن الأمزجة المتفاوتة والقوى المتباينة [٥].

وهذا على قول من قال إنه عربي، وقد قيل إن آدم اسم سرياني وهو عند أهل الكتاب آدام بإشباع فتحة الدال بوزن خاتام وزنه فاعال، وامتنع صرفه للعجمة والعلمية، وقيل: التراب بالعبرانية آدام فسمي آدم به [٦].

فضله:

 يماري أحد من أتباع الأنبياء والرسل في فضل آدم عليه السلام وكرامته على الله، خلقه الله عز وجل بيده، ﴿ قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ ﴾[ص:٧٥] وأسجد له ملائكته ﴿ وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ ﴾[البقرة: ٣٤]، وأسكنه جنته ﴿ وَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ ﴾[البقرة:٣٥] واصطفاه ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾[آل عمران:٣٣] وكرم ذريته ﴿ ۞ وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ ﴾[الإسراء:٧٠] وعلمه جميع الأسماء ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ﴾[البقرة: ٣١]وجعله أول الأنبياء، وعلمه ما لم يعلم الملائكة المقربين، وجعل من نسله الأنبياء، والمرسلين، والأولياء، والصديقين.

وفي حديث الشفاعة يقول بعض الناس: «أ تروون إلى ما أنتم فيه إلى ما بلغكم أ تنظرون إلى من يشفع لكم إلى ربكم فيقول بعض الناس أبوكم آدم فيأتونه فيقولون: يا آدم أنت أبو البشر خلقك الله

---

(١) تهذيب الأسماء واللغات (١١٩/١).
(٢) تفسير الطبري (٤٨١/١).
(٣) تفسير الطبري (٤٨٠/١)،وأخرجه بهذا اللفظ الحاكم في المستدرك (٣٤٣٦) وقال هذا حديث صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه، ووافقه الذهبي.
(٤) تفسير الطبري (٤٨٠/١).
(٥) المفردات للراغب (ص٢٣).
(٦) فتح الباري (٣٦٤/٦).

بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك وأسكنك الجنة» (٧) ، فأول من يقصده الناس لطلب الشفاعة أبوهم الذي عرفوا من فضائله ما عددوه له لتكون أسبابا في قبول شفاعته عند الله لفصل القضاء.

وإذا كانت الملائكة أفضل خلق الله بما أثنى عليهم من طاعتهم وقربهم منه تعالى فإنه أظهر فضل آدم عليهم بما فضله به من العلم (٨).

وأما فضل آدم وصالحي بنيه على الملائكة، ففي هذه المسألة خلاف طويل و يبنى عليها علم و عمل، ولهذا قال العلامة الشنقيطي رحمه الله: «وكلام العلماء في تفضيل الملائكة والآدميين يعنينا؛ لأن أكثر الناس مختلفون فيه، وكل يحتج بظواهر من كتاب الله، و دليل جازما يجب الجزم واليقين به، و حاجة تدعو إليه، واختلاف العلماء فيه معروف، وعلى كل حال فالله أظهر فضل آدم هنا حيث علمه ما جهله كل الملائكة وأمرهم بالسجود، قال بعض العلماء: أمرهم بالسجود لما علم ما لم يعلموا، ويرشد له قوله: ﴿إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ۝٣٠ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمۡ عَلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾[البقرة:٣٠-٣١] »(٩).

وقد أسكنه الله الجنة، وخلق له من نفسه زوجه حواء، ثم كتبت عليه الخطيئة التي بسببها أهبط إلى الأرض وتاب الله عليه، ورزقه الله في الأرض الذرية ومنهم قابيل وهابيل اللذين قص الله علينا قصة قتل أحدهما الآخر في سورة المائدة.

واختلف في مدة عمره، وابن كم كان يوم قبضه الله عز وجل إليه(١٠) ، قال ابن كثير(١١): «اختلفوا في موضع دفنه فالمشهور أنه دفن عند الجبل الذي أهبط منه في الهند وقيل بجبل أبي قبيس بمكة... وروى ابن عساكر عن بعضهم أنه قال رأسه عند مسجد إبراهيم ورجلاه عند صخرة بيت المقدس وقد ماتت حواء بعده بسنة واحدة واختلف في مقدار عمره عليه السلام فقدمنا في الحديث عن ابن عباس وأبي هريرة مرفوعا أن عمره اكتتب في اللوح المحفوظ الف سنة»(١٢).

---

(٧) أخرجه البخاري (ح ٣٣٤٠) ومسلم (ح١٩٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه.
(٨) تفسير السعدي (٤٨/١).
(٩) العذب النمير (١١٠/٣).
(١٠) تاريخ الطبري (٥٦/١).
(١١) أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي صاحب التفسير والبداية والنهاية وغيرها، متوفى سنة (٧٧٤هـ).
(١٢) البداية والنهاية (١١٠/١).

Doi: 10.33850/jasis.2020.120798

وفي حديث أبي هريرة عن النبي، ﷺ في قصة خلقه آدم : «فأتاه ملك الموت، فقال له آدم: قد عجلت، قد كتب لي ألف سنة، قال: بلى، ولكنك جعلت□بنك داود ستين سنة، فجحد فجحدت ذريته، ونسي فنسيت ذريته»[١٣].

وصح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم:«خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه أهبط وفيه تيب عليه وفيه مات»[١٤].

المبحث الأول: إثبات صفة الكلام لله تعالى

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[البقرة: ٣٤].وقال: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾ [الأعراف: ١١].وقال: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴾ [الإسراء: ٦١].وقال: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ﴾[الكهف: ٥٠]وقال: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴾[طه: ١١٦].

فهذه خمس آيات ثبت فيها نصا نسبة القول إلى الله تعالى، وعلى هذا مذهب سلف الأمة وأئمتها، أعني إثبات صفة الكلام على الوجه اللائق به سبحانه، وأنه يتكلم بما شاء إذا شاء، ومسألة الكلام من أطول المسائل وأكثرها تشعبا وأوسعها اختلافا، ولم يكن بين سلف الأمة من الصحابة والتابعين اختلاف في أن الله عزوجل متكلم، وأن هذا القرآن الكريم كلامه، حتى أظهر الجعد بن درهم [١٥] إنكار ذلك وزعم أن الله لم يكلم موسى تكليما، وذلك في أوائل المائة الثانية من الهجرة، وقتله على مقالته هذه خالد بن عبد الله القسري[١٦] بواسط في العراق في عيد الأضحى[١٧].

---

(١٣) أخرجه الترمذي (ح ٣٣٦٨) وصححه الحاكم في المستدرك (١٣٢/١٢) ووافقه الذهبي .

(١٤) أخرجه مسلم (ح ٨٥٤).

(١٥) من الموالي ، كان مؤدبا لمروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية ، أظهر القول بنفي الفات وخلق القرآن ، قيل : أخذ بدعته عن بيان بن سمعان وأخذه هذا عن طالوت بن أعصم الذي سحر النبي ، قتله خالد بن عبدالله القسري يوم عيد الأضحى ، انظر خبره في الميزان للذهبي (١٨٥/١) والكامل□بن الأثير (٢٨٣/٤-٢٨٤) .

(١٦) خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد القسري، من بجيلة، أبو الهيثم: أمير العراقين، وأحد خطباء العرب وأجوادهم، ولي مكة سنة ٨٩ ه للوليد بن عبد الملك، ثم و□ه هشام العراقين (الكوفة والبصرة) ، فأقام بالكوفة، وطالت مدته إلى أن عزله هشام سنة ١٢٠ ه وولي مكانه يوسف بن عمر الثقفي وأمره أن يحاسبه، فسجنه يوسف وعذبه بالحيرة، ثم قتله في أيام الوليد بن يزيد، توفي سنة (١٢٦هـ) ، الأعلام للزركلي (٢٩٧/٢)، وانظر تاريخ دمشق (١٣٥/١٦).

(١٧) التاريخ الكبير للبخاري (٦٤/١).

قال الإمام أبو سعيد الدارمي [١٨]: «فالله المتكلم أو□ و آخرا لم يزل له الكلام إذ□ متكلم غيره و□ يزال له الكلام إذا □ يبقى متكلم غيره فيقول:{لمن الملك اليوم} [غافر: ١٦] أنا الملك أين ملوك الأرض فلا ينكر كلام الله عز و جل إ□ من يريد إبطال ما أنزل الله عز و جل وكيف يعجز عن الكلام من علم العباد الكلام وأنطق الأنام»[١٩].

وقال الطحاوي[٢٠] رحمه الله في عقيدته المشهورة: «وإن القرآن كلام الله، منه بدا بلا كيفية قو□، وأنزله على رسوله وحيا، وصدقه المؤمنون على ذلك حقا، وأيقنوا أنه كلام الله تعالى بالحقيقة، ليس بمخلوق ككلام البرية. فمن سمعه فزعم أنه كلام البشر فقد كفر، وقد ذمه الله وعابه وأوعده بسقر حيث قال تعالى: ﴿سَأُصۡلِيهِ سَقَرَ﴾[المدثر:٢٦] - فلما أوعد الله بسقر لمن قال: ﴿إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا قَوۡلُ ٱلۡبَشَرِ﴾[المدثر:٢٥] علمنا وأيقنا أنه قول خالق البشر، و□ يشبه قول البشر»، قال ابن أبي العز رحمه الله[٢١]: « هذه قاعدة شريفة، وأصل كبير من أصول الدين، ضل فيه طوائف كثيرة من الناس، وهذا الذي حكاه الطحاوي رحمه الله هو الحق الذي دلت عليه الأدلة من الكتاب والسنة لمن تدبرهما، وشهدت به الفطرة السليمة التي لم تغير بالشبهات والشكوك والآراء الباطلة، وقد افترق الناس في مسألة الكلام على تسعة أقوال:

أحدها: أن كلام الله هو ما يفيض على النفوس من معاني، إما من العقل الفعال عند بعضهم، أو من غيره، وهذا قول الصابئة والمتفلسفة.

وثانيها: أنه مخلوق خلقه الله منفصلا عنه، وهذا قول المعتزلة.

وثالثها: أنه معنى واحد قائم بذات الله، هو الأمر والنهي والخبر وا□ستخبار، وإن عبر عنه بالعربية كان قرآنا، وإن عبر عنه بالعبريه كان توراة، وهذا قول ابن كلاب[٢٢] ومن وافقه، كالأشعري[٢٣] وغيره.

---

(١٨) الحافظ ا□مام الحجة أبو سعيد عثمان بن سعيد بن خالد السجستاني، صاحب الرد على الجهمية ونقض مقالة المريسي، توفي سنة (٢٨٠هـ) تذكرة الحفاظ (٦٢٢/٢).

(١٩) الرد على الجهمية (ص١٥٥).

(٢٠) أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي الحجري المصري الطحاوي نسبة إلى طحا قرية من قرى الصعيد بمصر ، الإمام ، صاحب تصانيف باهرة من أشهرها شرح معاني الآثار وشرح مشكل الآثار ، وعقيدته المختصرة ذائعة الصيت ، توفي سنة (٣٢١ هـ)، السير(٢٧/١٥).

(٢١) الإمام العلامة صدر الدين أبو الحسن علي بن علاء الدين علي بن محمد بن شرف الدين بن أبي العز الدمشقي الصالحي الحنفي ، من أشهر مصنفاته كتابه شرح العقيدة الطحاوية ، توفي سنة (٧٩٢ هـ)ـ ، شذرات الذهب □بن العماد (٣٢٦/٦) .

(٢٢) عبدالله بن سعيد بن كلاب القطان البصري رأس المتكلمين بالبصرة صاحب التصانيف في الرد على المعتزلة ، وإن كان في خضم هذه التصانيف قد خالف مذهب السلف في مواضع عديدة ، عاش إلى قبل سنة (٢٤٠هـ) ، السير (١٧٤/١١) والطبقات للسبكي (٢٩٩/٢).

(٢٣) أبو الحسن علي بن إسماعيل بن أبي بشر إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبدالله بن موسى بن أمير البصرة بلال بن أبي بردة بن صاحب رسول الله ﷺ أبي موسى الأشعري رضي الله عنه ، نشأ معتزليا ثم تحول إلى مذهب ابن كلاب ثم في آخر حياته أعلن أنه على عقيدة الإمام أحمد رحمه الله بن حنبل ، ومع هذا لم يصف مشربه من كدر ، صنف الإبانة ومقا□ت الإسلاميين توفي سنة (٣٢٤هـ) ، انظر السير (٨٥/١٥) وطبقات الشافعية للسبكي (٣٤٧/٣).

Doi: 10.33850/jasis.2020.120798

ورابعها: أنه حروف وأصوات أزلية مجتمعة في الأزل، وهذا قول طائفة من أهل الكلام ومن أهل الحديث.

وخامسها: أنه حروف وأصوات، لكن تكلم الله بها بعد أن لم يكن متكلما، وهذا قول الكرامية [٢٤] وغيرهم.

وسادسها: أن كلامه يرجع إلى ما يحدثه من علمه وإرادته القائم بذاته، وهذا يقوله صاحب المعتبر، ويميل إليه الرازي في المطالب العالية.

وسابعها: أن كلامه يتضمن معنى قائما بذاته هو ما خلقه في غيره، وهذا قول أبي منصور الماتريدي[٢٥].

وثامنها: أنه مشترك بين المعنى القديم القائم بالذات وبين ما يخلقه في غيره من الأصوات، وهذا قول أبي المعالي ومن تبعه.

وتاسعها: أنه تعالى لم يزل متكلما إذا شاء ومتى شاء وكيف شاء، وهو يتكلم به بصوت يسمع، وأن نوع الكلام قديم وإن لم يكن الصوت المعين قديما، وهذا المأثور عن أئمة الحديث والسنة»[٢٦].

والنصوص كثيرة متظافرة على إثبات الكلام لله تعالى: منها قوله: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ﴾ [النساء:١٦٤] وقوله: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾[الأعراف:١٤٣]، وقوله: ﴿ ۞ تِلۡكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۘ مِّنۡهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُۖ﴾[البقرة:٢٥٣]، وقوله: ﴿وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾[التوبة:٦]، ﴿ سَيَقُولُ ٱلۡمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقۡتُمۡ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأۡخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعۡكُمۡۖ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُواْ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾ [الفتح:١٥]، ومنها النصوص فيها نسبة القول له تعالى ومنها: ﴿ إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾[آل عمران:٥٥]، ومنها: ﴿ ۞ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴾[النحل:٥١]، ومنها: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ﴾[هود:٤٠]، ومنها: ﴿إِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرٗا مِّن طِينٖ ﴾[ص:٧١]، ومنها: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾[غافر:٦٠].

---

(٢٤) الكرامية أتباع محمد بن كرام السجستاني المبتدع ، من أقواله أن الإيمان قول باللسان بدون اعتقاد و عمل ، وقال بعض أتباعه بأن الله جسم كالأجسام ، انظر سير أعلام النبلاء (٥٢٣/١٠) و الملل والنحل للشهرستاني (٩٩/١) .

(٢٥) محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي: من أئمة علماء الكلام، نسبته إلى ما تريد، توفي سنة (٣٣٣هـ) الإعلام للزركلي (١٩/٧).

(٢٦) شرح العقيدة الطحاوية (ص١٦٨).

ومن السنة كثير، ومن ذلك ما جاء عن أبي ذر: عن النبي ﷺ فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال: «يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا» الحديث [٢٧].

وعن أبي سعيد الخدري قال: قال النبي ﷺ: يقول الله عز وجل يوم القيامة: «يا آدم، يقول: لبيك ربنا وسعديك، فينادى بصوت: إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثا إلى النار، قال: يا رب وما بعث النار؟ قال: من كل ألف أراه قال تسع مائة وتسعة وتسعين..» الحديث [٢٨].

وعنه كذلك قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تبارك وتعالى يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة، فيقولون: لبيك ربنا وسعديك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا□ نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدا من خلقك، فيقول: أنا أعطيكم أفضل من ذلك، قالوا: يا رب وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبدا»[٢٩].

فالذي بلغه الرسول هو كلام الله□ كلامه، ولهذا كان النبي ﷺ يعرض نفسه على الناس في المواسم، ويقول: «أ□ رجل يحملني إلى قومه لأبلغ كلام ربي، فإن قريشا قد منعوني أن أبلغ كلام ربي»[٣٠].

هذه أدلة السلف النقلية، والعقل يدل على ما دل عليه السمع، لأن الكلام كمال، والله تعالى موصوف بالكمال من كل وجه، وعدم الكلام نقص يتنزه عنه الخالق، كما قال تعالى على لسان إبراهيم محتجا على قومه: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ﴾[الأنبياء:٦٣]،وقال تعالى كذلك يعيب بني إسرائيل حين اتخذوا العجل: ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا﴾[الأعراف:١٤٨]، وقال: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا﴾[طه:٨٩]

قال الدارمي رحمه الله: «ففي كل ما ذكرنا تحقيق كلام الله وتثبيته نصا بلا تأويل ففيما عاب الله به العجل في عجزه عن القول والكلام بيان بين أن الله عز و جل غير عاجز عنه، وأنه متكلم وقائل، لأنه لم يكن يعيب العجل بشيء هو موجود به»[٣١].

وإذا ثبت أنه تعالى متكلم بماشاء كيف يشاء فإن القرآن من كلامه تعالى، فليس بمخلوق، قال سفيان بن عيينة، قال: «أدركت مشايخنا منذ سبعين سنة، منهم عمرو بن دينار، يقولون: القرآن كلام الله وليس بمخلوق»[٣٢].

---

(٢٧) أخرجه مسلم (ح ٢٥٧٧).
(٢٨) أخرجه البخاري (ح٣٣٤٨) ومسلم (ح٢٢٢).
(٢٩) أخرجه البخاري (ح ٦٥٤٩) ومسلم (ح ٢٨٢٩).
(٣٠) أخرجه أحمد (٣/٣٩٠) وأبوداود (ح ٤٧٣٦) والترمذي (ح ٢٩٢٥) والنسائي (ح ٧٦٨٠) وابن ماجة (ح ٢٠١) عن جابر رضي الله عنها، وصححه الترمذي و الشيخ الألباني - رحمه الله - في الصحيحة (ح ١٩٤٧) .
(٣١) الرد على الجهمية (١٥٧).
(٣٢) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٣٣٢)، والدارمي في الرد على الجهمية (ح ٣٤٤) قال الذهبي في العلو :تواتر هذا عن ابن عيينة.

Doi: 10.33850/jasis.2020.120798

خلافا للجهمية الذين زعموا أن القرآن مخلوق، وعليهم رد السلف فكفروهم بهذه المقالة، قال أبو زرعة(٣٣) وأبو حاتم(٣٤) الرازيان في عقيدتهما: «من زعم أن القرآن مخلوق فهو كافر بالله العظيم كفرا ينقل عن الملة... ومن قال: لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي أو القرآن بلفظي مخلوق فهو جهمي »(٣٥).

وعن معاوية بن عمار قال: سألت جعفر بن محمد (٣٦) عن القرآن، قلت: خالق أو مخلوق؟ قال: «ليس بخالق و□ مخلوق ولكنه كلام الله»(٣٧).

وأكبر شبهة نفى بها الجهمية صفة الكلام لله تعالى هي شبهة قيام الحوادث به سبحانه، إذ عندما جادل المتكلمون الفلاسفة في مسألة قدم العالم ووجود الصانع – أي الخالق- كان من ضمن ما وقعوا فيه من الأخطاء أنهم حصروا أدلة وجود الخالق بإثبات حدوث العالم وأنه مخلوق، ثم جعلوا حجتهم في إثبات حدوث العالم أنه تتعاقبه الحوادث، أي المخلوقات التي توجد بعد أن كانت معدومة من الذوات والأعراض، وبناء على ذلك التزموا أن من أهم صفات الخالق أنه□ تقوم به الحوادث وإ□ كان مخلوقا.

وهذا جعلهم ينفون كل صفة تتعلق بالمشيئة لأن ذلك عنهم يعني حلول الحوادث بذات الرب وهو ما يعني كونه مخلوقا عندهم.

قال ابن أبي العز: «حلول الحوادث بالرب تعالى، المنفي في علم الكلام المذموم، لم يرد نفيه و□ إثباته في كتاب و□ سنة، وفيه إجمال: فإن أريد بالنفي أنه سبحانه□ يحل في ذاته المقدسة شيء من مخلوقاته المحدثة، أو□ يحدث له وصف متجدد لم يكن – فهذا نفي صحيح.

وإن أريد به نفي الصفات ا□ختيارية، من أنه□ يفعل ما يريد، و□ يتكلم بما شاء إذا شاء، و□ أنه يغضب ويرضى□ كأحد من الورى، و□ يوصف بما وصف به نفسه من النزول وا□ستواء والإتيان كما يليق بجلاله وعظمته – فهذا نفي باطل »(٣٨).

وقال: « وقد نفى الجهم ومن وافقه كل ما وصف الله به نفسه، من كلامه ورضاه وغضبه وحبه وبغضه وأسفه ونحو ذلك، وقالوا: إنما هي أمور مخلوقة منفصلة عنه، ليس هو في نفسه متصفا بشيء من ذلك!

---

(٣٣) لإمام، سيد الحفاظ، عبيد الله بن عبد الكريم بن يزيد بن فروخ: محدث الري، قال الخطيب : وكان إماما ربانيا، حافظا متقنا مكثرا، توفي سنة (٢٦٨هـ)، تهذيب التهذيب (٢٨/٧).

(٣٤) محمد بن إدريس بن المنذر بن داود بن مهران الحنظلي أبو حاتم الرازي الحافظ الكبير أحد الأئمة، توفي سنة (٢٧٧هـ)، تهيب التهذيب (٢٨/٩).

(٣٥) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٢٨٥)، تهذيب التهذيب (٢٨/٩).

(٣٦) جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي أبو عبد الله المعروف بالصادق صدوق فقيه إمام، توفي سنة (١٤٨هـ) سير أعلام النبلاء (٢٥٥/٦).

(٣٧) أخرجه عبدالله بن أحمد في السنة (ح١٣٢-١٣٤) ، والبخاري في خلق أفعال العباد (ح١٥) ،وصححه الألباني في مختصر العلو.

(٣٨) شرح العقيدة الطحاوية (ص٨٠).

وعارض هؤ□ء من الصفاتية ابن كلاب ومن وافقه، فقالوا: □ يوصف الله بشيء يتعلق بمشيئته وقدرته أصلا، بل جميع هذه الأمور صفات □زمة لذاته، قديمة أزلية، فلا يرضى في وقت دون وقت، و□ يغضب في وقت دون وقت. كما قال في حديث الشفاعة: «**إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله**»(٣٩) وفي الصحيحين عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ: «**إن الله تعالى يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة، فيقولون: لبيك ربنا وسعديك والخير في يديك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا□ نرضى يا رب؟ وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدا من خلقك، فيقول: أ□ أعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون: يا رب، وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحل عليكم رضواني، فلا أسخط عليكم بعده أبدا**»(٤٠).

فيستدل به على أنه يحل رضوانه في وقت دون وقت، وأنه قد يحل رضوانه ثم يسخط، كما يحل السخط ثم يرضى، لكن هؤ□ء أحل عليهم رضوانا□ يتعقبه سخط.

وهم قالوا: □ يتكلم إذا شاء، و□ يضحك إذا شاء، و□ يغضب إذا شاء، و□ يرضى إذا شاء، بل إما أن يجعلوا الرضى والغضب والحب والبغض هو الإرادة، أو يجعلوها صفات أخرى، وعلى التقديرين فلا يتعلق شيء من ذلك□ بمشيئته و□ بقدرته، إذ لو تعلقت بذلك لكان محلا للحوادث! فنفى هؤ□ء الصفات الفعلية الذاتية بهذا الأصل، كما نفى أولئك الصفات مطلقا بقولهم ليس محلا للأعراض، وقد يقال: بل هي أفعال، و□ تسمى حوادث، كما سميت تلك صفات، ولم تسم أعراضا»(٤١).

ثم إن الصفاتية الذين أثبتوا صفة الكلام قديمة بذات الله تعالى مع نفيهم الصفات ا□ختيارية التي تقوم بالذات بمشيئته وقدرته تعالى، لأن هذا عندهم يستلزم حلول الحوادث بالذات كما سبق، حاروا في تفسير حقيقة القرآن، وحقيقة كونه كلام الله تعالى، وشكل لهم ذلك معضلة إذ لم يوافقوا المعتزلة في القول بأنه مخلوق، بينما وافقوهم على نفي صفة الكلام بالمعنى الذي أثبته السلف، فقالوا إن كلامه تعالى قديم□ يتعلق بمشيئته و□ قدرته، وأن حقيقة الكلام ما يقوم بنفس المتكلم من معنى، قال ابن أبي العز: « فقوله: ولما كلم موسى كلمه بكلامه الذي هو من صفاته - يعلم منه أنه حين جاء كلمه، □ أنه لم يزل و□ يزال أز□ وأبدا يقول يا موسى، كما يفهم ذلك من قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾[الأعراف:١٤٣]، ففهم منه الرد على من يقول من أصحابه إنه معنى واحد قائم بالنفس□ يتصور أن يسمع، وإنما يخلق الله الصوت في الهواء، كما قال أبو منصور الماتريدي وغيره»(٤٢).

---

(٣٩) أخرجه البخاري (ح ٤٧١٢) ومسلم (ح١٩٤)، عن أبي هريرة رضي الله عنه

(٤٠) تقدم.

(٤١) شرح العقيدة الطحاوية (ص٤٧٥).

(٤٢) شرح العقيدة الطحاوية (ص١٣٨).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية[٤٣]: «إثبات كلام يقوم بذات المتكلم بدون مشيئته وقدرته **غير معقول و□ معلوم**، والحكم على الشيء فرع عن تصوره.

فيقال للمحتج: □ أنت و□ أحد من العقلاء يتصور كلاما يقوم بذات المتكلم بدون مشيئته وقدرته فكيف تثبت بالدليل المعقول شيئا□ يعقل ؟!

وأيضا، فقولك: «لو لم يتصف بالكلام□تصف بالخرس والسكوت» إنما يعقل في الكلام بالحروف والأصوات، فإن الحي إذا فقدها لم يكن متكلما، فإما أن يكون قادرا على الكلام ولم يتكلم وهو الساكت، وإما أن□ يكون قادرا عليه وهو الأخرس.

وأما ما يدعونه من الكلام النفساني فذاك□ يعقل أن من خلا عنه كان ساكتا أو أخرس، فلا يدل - بتقدير ثبوته - على أن الخالي عنه يجب أن يكون ساكتا أو أخرس.

وأيضا فالكلام القديم النفساني الذي أثبتموه لم تثبتوا ما هو؟ بل و□ تصورتموه، واثبات الشيء فرع تصوره، فمن لم يتصور ما يثبته كيف يجوز أن يثبته؟ ولهذا كان أبو سعيد بن كلاب رأس هذه الطائفة وإمامها في هذه المسألة□ يذكر في بيانها شيئا يعقل، بل يقول هو معنى يناقض السكوت والخرس.

والسكوت والخرس إنما يتصوران إذا تصور الكلام، فالساكت هو الساكت عن الكلام والأخرس هو العاجز عنه أو الذي حصلت له آفة في محل النطق تمنعه عن الكلام، وحينئذ فلا يعرف الساكت والأخرس حتى يعرف الكلام، و□ يعرف الكلام حتى يعرف الساكت والأخرس.

فتبين أنهم لم يتصوروا ما قالوه، ولم يثبتوه، بل هم في الكلام يشبهون النصارى في الكلمة وما قالوه في الأقانيم والتثليث و ا□تحاد، فإنهم يقولون ما□ يتصورونه و□ يبينونه و الرسل عليهم السلام إذا أخبروا بشيء ولم نتصوره وجب تصديقهم.

وأما ما يثبت بالعقل فلابد أن يتصوره القائل به، وإ□ كان قد تكلم بلا علم، فالنصارى تتكلم بلا علم فكان كلامهم متناقضا ولم يحصل لهم قول معقول، كذلك من تكلم في كلام الله بلا علم كان كلامه متناقضا ولم يحصل له قول يعقل»[٤٤].

وقال كذلك: «الذي كان عليه السلف والأئمة أهل السنة والإجماع أن القرآن الذي هو كلام الله هو القرآن، الذي يعلم المسلمون أنه القرآن، والقرآن وسائر الكلام له حروف ومعان، فليس الكلام و□ القرآن إذا أطلق اسما لمجرد الحروف، و□ أسما لمجرد المعاني، بل الكلام اسم للحروف والمعاني جميعا، فنشأ بعد السلف والأئمة ممن هو موافق للسلف والأئمة على إطلاق القول بأن القرآن كلام الله غير مخلوق طائفتان:

---

(٤٣) أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام ابن تيمية الحراني الدمشقي الإمام ، شهرته تغني عن الإطناب في ذكره والإسهاب في أمره ترجم له بعض تلامذته ومن أشهرها العقود الدرية لتلميذه الحافظ ابن عبدالهادي رحمه الله ، وانظر الذيل على طبقات الحنابلة□بن رجب (٣٨٧/٢) وما بعد .

(٤٤) مجموع الفتاوى (٢٩٥/٦).

طائفة قالت: كلام الله ليس إ□ مجرد معنى قائم بالنفس، وحروف القرآن ليست من كلام الله، و□ تكلم الله بها، و□ يتكلم الله بحرف و□ صوت، و(ألم) و(طس) و(ن) وغير ذلك ليست من كلام الله الذي تكلم هو به، ولكن خلقها، ثم منهم من قال: خلقها في الهواء، ومنهم من قال: خلقها مكتوبة في اللوح المحفوظ، ومنهم من قال: جبريل هو الذي أحدثها وصنفها بإقدار الله له على ذلك، ومنه من زعم أن محمدا هو الذي أحدثها وصنفها بإقدار الله له على ذلك.. فجعلت هذه الطائفة معنى واحدا قائما بذات الرب هو أمر ونهي، وخبر واستخبار، وهو معنى التوراة والإنجيل والقرآن، وكل ما تكلم الله به، وهو معنى آية الكرسي وآية الدين، وجمهور عقلاء بني آدم يقولون: إن فساد هذا معلوم بضرورة العقل وفطرة بني آدم، وهؤ□ء عندهم أن الملائكة تعبر عن المعنى القائم بذات الله وأن الله نفسه□ يعبر بنفسه عن نفسه، وذلك يشبه من بعض الوجوه الأخرى الأخرس الذي يقوم بنفسه معان فيعبر غيره عنه بعبارته، وهم في ذلك مشاركون للجهمية الذين جعلوا غير الله يعبر عنه من غير أن يكون الله يتكلم، لكن هؤ□ء يقولون قام بنفسه معنى فتجعله كالأخرس، والجهمية تجعله بمنزلة الصنم الذي□ يقوم به معنى و□ لفظ»[٤٥].

(٤٥) الفتاوى الكبرى (٦/٤١٨)، والمسألة كثيرة طويلة الذيل كثيرة النصوص في الإثبات كثيرة الشبه في جانب النفي والتعطيل، وقد صنف فيها ابن تيمية كتابه التسعينية في إثبات صفة كلام الله تعالى والرد على المخالفين فينظر لمن أراد ا□ستزادة.

المبحث الثاني: حكم السجود لغير الله

من المتقرر عند أهل السنة أن صرف العبادة لغير الله شرك في التوحيد لا يغفره الله تعالى، لأنه ينافي أصل التوحيد، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾[النساء:٤٨]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾[الأنبياء:٢٥]، وقال: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾[النحل:٣٦].

وذكر الله في القرآن صورا عديدة من صور الشرك الذي وقعت فيه الأمم، ومن ذلك السجود لغير الله، كما قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾[فصلت:٣٧].

قال ابن كثير: «لما كان الشمس والقمر أحسن الأجرام المشاهدة في العالم العلوي والسفلي، نبه تعالى على أنهما مخلوقان عبدان من عبيده، تحت قهره وتسخيره، فقال: ﴿لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾أي: ولا تشركوا به فما تنفعكم عبادتكم له مع عبادتكم لغيره، فإنه لا يغفر أن يشرك به»(٤٦).

وقال عن بلقيس ملكة اليمن: ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾[النمل:٢٤-٢٥].

قال ابن كثير: «أي: لا يعرفون سبيل الحق التي هي إخلاص السجود لله وحده دون ما خلق من شيء من الكواكب وغيرها»(٤٧).

فظاهر هذه الآيات أن السجود من أنواع العبادة التي لا تنبغي إلا لله تعالى، وقد ورد في القرآن ما يدل على خلاف ذلك، ومنه هذه الآية قال تعالى:﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[البقرة:٣٤].

وقوله تعالى في قصة يوسف:﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا﴾[يوسف:١٠٠]

قال الراغب: السجود أصله: التطامن والتذلل، وجعل ذلك عبارة عن التذلل لله وعبادته، وهو عام في الإنسان، والحيوانات، والجمادات، وذلك ضربان: سجود باختيار، وليس ذلك إلا للإنسان، وبه يستحق الثواب، نحو قوله: ﴿فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟﴾[النجم:٦٢]، أي: تذللوا له، وسجود تسخير، وهو للإنسان، والحيوانات، والنبات، وعلى ذلك قوله: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ﴾[الرعد:١٥]»(٤٨).

---

(٤٦) تفسير ابن كثير (١٨٢/٧).
(٤٧) تفسير ابن كثير (١٨٧/٦).
(٤٨) المفردات (٤٥٨/١).

واختلف المفسرون في المراد بأمر الله الملائكة بالسجود لآدم، فقيل إنهم أمروا بالسجود لله واستقبال آدم كما تستقبل الكعبة [٤٩]، وقيل: أمروا بالتذلل له، والقيام بمصالحه، ومصالح أو□ده [٥٠]، وقيل بل أمروا بالسجود له إظهارا لفضله عليهم، وفي صفة سجودهم لآدم قو□ن أحدهما أنه على صفة سجود الصلاة، والثاني: أنه ا□نحناء والميل المساوي للركوع[٥١]، قال ابن عثيمين رحمه الله: «السجود هو السجود على الأرض بأن يضع الساجد جبهته على الأرض خضوعا، وخشوعا؛ وليس المراد به هنا الركوع؛ لأن الله تعالى فرق بين الركوع والسجود، كما في قوله تعالى: ﴿تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا﴾[الفتح: ٢٩]، وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ﴾[الحج: ٧٧]»[٥٢].

وقد روي عن قتادة في قوله: ﴿وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا﴾[يوسف: ١٠٠]قال: « وكانت تحية الناس يومئذ أن يسجد بعضهم لبعض »[٥٣]، وليس هناك ما يمنع أن يكون ذلك السجود عبادة لله تعالى وتكرمة وتحية لآدم عليه السلام، كما كان سجود إخوة يوسف عليهم السلام وأهله له، وذلك لأن العبادة□ تجوز لغير الله تعالى، والتحية والتكرمة جائزان لمن يستحق التعظيم.

وقول القائل: إن السجود كان لله، وإن آدم كان بمنزلة القبلة غير صحيح ؛ لأن معناه أن□ يكون لآدم في ذلك حظ من التفضيل والتكرمة، مع أن ظاهر الأمر بالسجود له يقتضي أن يكون عليه السلام مفضلا مكرما، ويدل على ذلك قول إبليس فيما حكى الله عنه: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ﴾[الإسراء: ٦١-٦٢]فأخبر إبليس أن امتناعه من السجود كان لأجل تفضيل الله وتكرمته لآدم بأمر إبليس أن يسجد له، ولو كان الأمر كما زعموا ما كان لآدم في ذلك حظو□ فضيلة تحسد، كالكعبة المنصوبة للقبلة.

وقد كان السجود للمخلوق جائزا في شريعة من قبلنا، وبقي إلى زمان يوسف عليه السلام فكان فيما بينهم لمن يستحق ضربا من التعظيم ويراد إكرامه وتبجيله، إ□ أن السجود لغير الله تعالى على وجه التكرمة والتحية منسوخ بما صح عنه × أنه قال: « □ ينبغي في أمتي أن يسجد أحد لأحد »[٥٤].

والذي ظهر من النصوص أن السجود تعظيما وإجلا□ أو رغبة ورهبة□ يجوز إ□ لله ولم يكن يوما جائزا لغير الله تعالى، ولهذا ذم الله قوم سبأ بذلك، فمن سجد لغير الله تعظيما فهو شرك أكبر.

وأما السجود احتراما وإكراما فقد كان جائزا في شريعة من قبلنا ثم نسخ ذلك في شريعتنا، فمن فعله لغير الله كنوع من ا□حترام والتكريم فقد فعل محرما لكن□ يصل به إلى الكفر والشرك.

---

(٤٩) تفسير القرطبي (٢٩٢/١).
(٥٠) المفردات (٤٥٨/١).
(٥١) زاد المسير (٦٤/١).
(٥٢) موقع الشيخ ابن عثيمين .
(٥٣) تفسير ابن جرير (٢٦٩/١٦).
(٥٤) أخرجه أحمد (١٥٨/٣) ، والنسائي في الكبرى (ح٩١٠٢)، وفيه قصة الجمل الذي استصعب على صاحبه ، قال الهيثمي في المجمع : «رواه أحمد والبزار ورجاله رجال الصحيح غير حفص ابن أخي أنس وهو ثقة»، وصححه الألباني - رحمه الله - في صحيح الترغيب (ح ١٩٣٦) وانظر الإرواء (ح ١٩٩٨).

المبحث الثالث: إثبات حقيقة الإيمان في الشرع

مسألة الإيمان والخلاف في الأسماء والأحكام من أقدم المسائل التي حصل فيها الخلاف بين السلف وبين أهل الأهواء، وكان أساسها الخلاف في مرتكب الكبيرة إذا مات على غير توبة هل هو مؤمن أو كافر ؟

ثم توسع الخلاف حتى شمل الكلام في حقيقة الإيمان ماهي، فقالت الخوارج والمعتزلة إن الإيمان عبارة عن التصديق بالقلب والقول باللسان والعمل بالجوارح، لكنه يزيد و ينقص بل نقصه يخرج صاحبه من الإيمان إلى الكفر عند الخوارج وإلى منزلة بين المنزلتين عند المعتزلة مع اتفاقهم على تخليده في النار.

وقالت مرجئة الفقهاء إن الإيمان هو التصديق بالقلب والقول باللسان، وأما أعمال الجوارح فثمرة له، فمن تركه أو غشي الكبائر فهو مؤمن كامل الإيمان في الدنيا، وفي الآخرة تحت المشيئة.

وقالت مرجئة المتكلمين إن الإيمان تصديق القلب فقط، وأما القول فهو شرط إجراء أحكام الدنيا.

وقالت الجهمية بل هو مجرد المعرفة، فمن عرف ربه بقلبه فهو مؤمن.

وقالت الكرامية إنه القول مجردا.

وكل هذه الفرق تجتمع على إنكار زيادة الإيمان ونقصانه (٥٥).

وأما أهل السنة من سلف الأمة وتابعيهم بإحسان فالإيمان عندهم شعب عديدة تشمل القلب واللسان والجوارح، لقوله ﷺ: «الإيمان بضع وستون شعبة، أعلاها شهادة أن إله إ الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان»(٥٦)، وأصله في القلب تصديقا وانقيادا وعملا، وقول اللسان، وفروعه أعمال الجوارح، وأنه يزيد بالإيمان وينقص بالمعصية، وصاحب الكبيرة من ترك الفرائض أو فعل المعصية يزول عنه اسم الإيمان المطلق فهو مؤمن ناقص الإيمان، وهو في الآخرة تحت المشيئة إذا لم يتب قبل موته، إن شاء الله عذبه وإن شاء غفر له (٥٧).

وليس الغرض هنا الكلام في الإيمان والخلاف فيه، وإنما المقصود ما في قصة السجود لآدم من د ت على واحد من أهم الركائز التي يقوم عليها مذهب السلف في تصورهم للإيمان وحقيقته الشرعية.

فإن آيات الأمر بالسجود لآدم كلها تهدم مذاهب متكلمي المرجئة، إذ بينت أن الإيمان يكفي فيه التصديق أو المعرفة، بل بد أن يكون في القلب شيء آخر يصحح هذا التصديق وهذه المعرفة،

---

(٥٥) انظر شرح العقيدة الطحاوية (ص٣١٤).
(٥٦) أخرجه البخاري في الإيمان (ح٩) ، ومسلم في الإيمان (ح٣٥) .
(٥٧) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١٢٦/١). والسنة بن أبي عاصم (ص٤٨٣) ولوامع الأنوار للسفاريني (٤١٠/١).

وهو عمل القلب، الذي ينصون نصا على أنه ليس من الإيمان، كما قال الباقلاني[٥٨]: « وأن يعلم أن الإيمان بالله عزوجل هو التصديق بالقلب.. والدليل على أن الإيمان هو الإقرار بالقلب والتصديق قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا﴾[يوسف:١٧]، يريد: بمصدق لنا، وقد اتفق أهل اللغة قبل نزول القرآن وبعث الرسول عليه السلام على أن الإيمان في اللغة هو التصديق دون سائر أفعال الجوارح والقلوب »[٥٩].

أما مرجئة الفقهاء فيصعب الحكم عليهم بأنهم يخرجون أعمال القلوب من الإيمان أو يدخلونها، وإن كانوا في الحقيقة متناقضين إذا أدخلوها.

ولهذا تردد كلام شيخ الإسلام رحمه الله فيهم، فمرة يذكر عنهم أنهم يجعلون ما في القلب من محبة وخضوع داخلا في حقيقة الإيمان قال رحمه الله: « لهذا كان عامة أئمة المرجئة الذين يجعلون الإيمان مجرد ما في القلب، أو ما في القلب واللسان، **يدخلون في ذلك محبة القلب وخضوعه للحق،** لا يجعلون ذلك مجرد علم القلب »[٦٠].

ومرة يقول: « والمرجئة الذين قالوا: الإيمان تصديق القلب وقول اللسان، والأعمال ليست منه، كان منهم طائفة من فقهاء الكوفة وعبادها، ولم يكن قولهم مثل قول جهم، فعرفوا أن الإنسان لا يكون مؤمنا إن لم يتكلم بالإيمان مع قدرته عليه، وعرفوا أن إبليس وفرعون وغيرهما كفار، مع تصديق قلوبهم، لكنهم إذا لم يدخلوا أعمال القلوب في الإيمان لزمهم قول جهم، وإن أدخلوها في الإيمان لزمهم دخول أعمال الجوارح أيضا، فإنها لازمة لها، **ولكن هؤلاء لهم حجج شرعية بسببها اشتبه الأمر عليهم** »[٦١]، وهذا يعني أنه لم يحصل له علم بحقيقة قولهم في أعمال القلوب.

مع أن الواضح من قولهم أن أعمال القلب ليست من الإيمان، وهذا هو طرد أصلهم في الإيمان[٦٢].

والذي يهمنا بيانه هنا من مذهب السلف أن الإيمان لا يكفي فيه المعرفة والتصديق بدون الانقياد وغيره من أعمال القلوب، فإن إبليس كفر بالله مع معرفته وتصديقه بالله، وإنما كفر بإبائه واستكباره، كما قال تعالى: ﴿وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾[البقرة: ٣٤]، خلافا للجهمية القائلين بأن الإيمان المعرفة، والمتكلمين الذين قالوا إن الإيمان تصديق القلب فقط، وإيمان إبليس وفرعون لازم لهم، ولا انفكاك لهم عنه إلا بالإقرار بأن

---

(٥٨) القاضي أبوبكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن قاسم البصري، المتكلم الأصولي صاحب التصانيف، كان على طريقة الأشعري، ومن أئمة الأشاعرة بارع في الجدل، وصفه ابن تيمية بأنه من فضلاء المتكلمين، توفي رحمه الله سنة (٤٠٣هـ) الأعلام للزركلي (١٧٦/٦).

(٥٩) الإنصاف (ص٣٣-٣٤)، وانظر الفتاوى (٧ / ١٢١).

(٦٠) الفتاوى الكبرى (٦ / ٥١٨).

(٦١) الفتاوى (٧/ ١٩٤).

(٦٢) منهاج السنة (٥/ ٢٨٨).

الإيمان □ يكفي فيه مجرد ما يقوم بالقلب، سواء سميناه معرفة أو تصديقا فلا فرق بينهما عند التحقيق والتفريق بينهما عسير [٦٣].

قال ابن تيمية: «الإيمان و إن كان يتضمن التصديق فليس هو مجرد التصديق، وإنما هو الإقرار و الطمأنينة، و ذلك لأن التصديق إنما يعرض للخبر فقط، فأما الأمر فليس فيه تصديق من حيث هو أمر، و كلام الله خبر و أمر، فالخبر يستوجب تصديق المخبر، و الأمر يستوجب ا□نقياد و ا□ستسلام، و هو عمل في القلب، جماعه الخضوع و ا□نقياد للأمر و إن لم يفعل المأمور به، فإذا قوبل الخبر بالتصديق، و الأمر با□نقياد، فقد حصل أصل الإيمان في القلب، و هو الطمأنينة و الإقرار، فإن اشتقاقه من الأمن الذي هو القرار و الطمأنينة، و ذلك إنما يحصل إذا استقر في القلب التصديق و ا□نقياد، و إذا كان كذلك فالسب إهانة و استخفاف، و ا□نقياد للأمر إكرام و إعزاز، و محال أن يهين القلب من قد انقاد له و خضع و استسلم، أو يستخف به، فإذا حصل في القلب استخفاف و استهانة امتنع أن يكون فيه انقياد أو استسلام فلا يكون فيه إيمان.

وهذا هو بعينه كفر إبليس، فإنه سمع أمر الله فلم يكذب رسو□، و لكن لم ينقد للأمر و لم يخضع له، و استكبر عن الطاعة فصار كافرا، و هذا موضع زاغ فيه خلق من الخلف: تخيل لهم أن الإيمان ليس في الأصل إ□ التصديق، ثم يرون مثل إبليس و فرعون ممن لم يصدر عنه تكذيب، أو صدر عنه تكذيب أو صدر عنه تكذيب باللسان□ بالقلب، و كفره من أغلظ الكفر فيتحيرون، و لو أنهم هدوا لما هدي إليه السلف الصالح لعلموا أن الإيمان قول و عمل، أعني في الأصل قو□ في القلب و عملا في القلب، فإن الإيمان بحسب كلام الله و رسالته و كلام الله و رسالته يتضمن أخباره و أوامره، فيصدق القلب أخباره تصديقا يوجب حا□ في القلب بحسب المصدق به، و التصديق هو من نوع العلم و القول، و ينقاد لأمره و يستسلم، و هذا ا□نقياد و ا□ستسلام هو من نوع الإرادة و العمل، و□ يكون مؤمنا إ□ بمجموع الأمرين، فمتى ترك ا□نقياد كان مستكبرا فصار من الكافرين و إن كان مصدقا، فالكفر أعم من التكذيب، يكون تكذيبا و جهلا، و يكون استكبارا و ظلما، و لهذا لم يوصف إبليس إ□ بالكفر و ا□ستكبار دون التكذيب، و لهذا كان كفر من يعلم مثل اليهود و نحوهم من جنس كفر إبليس، و كان كفر من يجهل مثل النصارى و نحوهم ضلا□ و هو الجهل.

أ□ ترى أن نفرا من اليهود جاءوا إلى النبي ﷺ و سألوه عن أشياء فأخبرهم فقالوا: نشهد أنك نبي و لم يتبعوه، و كذلك هرقل و غيره فلم ينفعهم هذا العلم و هذا التصديق ؟

أ□ ترى أن من صدق الرسول بأن ما جاء به هو رسالة الله و قد تضمنت خبرا و أمرا فإنه يحتاج إلى مقام ثان وهو تصديقه خبر الله و انقياده لأمر الله فإذا قال: «أشهد أن□ إله إ□ الله» فهذه الشهادة تتضمن تصديق خبره و ا□نقياد لأمره و أشهد أن محمدا رسول الله تضمنت تصديق فيما جاء به من عند الله فبمجموع هاتين الشهادتين يتم الإقرار.

فلما كان التصديق □بد منه في كلتا الشهادتين، و هو الذي يتلقى الرسالة بالقبول، ظن من ظن أن أصل لجميع الإيمان، و غفل عن أن أصل آخر □بد منه و هو ا□نقياد، و إ□ّ فقد يصدق الرسول

(٦٣) مجموع الفتاوى (٣٩٨/٧).

ظاهرا و باطنا ثم يمتنع من ا□نقياد للأمر، إذ غايته تصديق الرسول أن يكون بمنزلة من سمع الرسالة من الله سبحانه و تعالى كإبليس، و هذا مما بين لك أن ا□ستهزاء بالله أو برسوله ينافي ا□نقياد له، لأنه قد بلغ عن الله أنه أمر بطاعته فصار ا□نقياد له من تصديقه في خبره، فمن لم ينقد لأمره فهو إما مكذب له أو ممتنع عن ا□نقياد لربه، وكلاهما كفر صريح»[٦٤].

وهذا في الحقيقة يؤكد مذهب أئمة السلف أن العلم الخبري النظري□ يستلزم ا□هتداء وا□متثال، وقد ساق الإمام ابن القيم[٦٥] رحمه الله في كتابه الماتع (مفتاح دار السعادة) كلاما يستحق أن نورد منه مقتطفات تفيدنا هنا في تصور هذه الحقيقة التي أكدتها النصوص، قال رحمه الله على لسان المحتجين لهذا: « العلم □ يستلزم الهداية، وكثيرا ما يكون الضلال عن عمد وعلم□ يشك صاحبه فيه، بل يؤثر الضلال والكفر وهو عالم بقبحه ومفسدته، قالوا: وهذا شيخ الضلال وداعي الكفر وإمام الفجرة إبليس عدو الله، قد علم أمر الله له بالسجود لآدم، ولم يشك فيه فخالفه وعاند الأمر وباء بلعنة الله وعذابه الدائم، مع علمه بذلك ومعرفته به، وأقسم له بعزته أنه يغوي خلقه أجمعين، إ□ عباده منهم المخلصين، فكان غير شاك في الله وفي وحدانيته، وفي البعث الآخر، وفي الجنة والنار، ومع ذلك اختار الخلود في النار، واحتمال لعنة الله وغضبه وطرده من سمائه وجنته عن علم بذلك ومعرفة لم تحصل لكثير من الناس ».

« وقال تعالى حاكيا عن موسى أنه قال لفرعون: ﴿ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴾[الإسراء:١٠٢]، أي هالكا على قراءة من فتح التاء، وهي قراءة الجمهور.. وقراءة الجمهور أحسن وأوضح وأفخم معنى، وبها تقوم الد□لة، ويتم الإلزام بتحقيق كفر فرعون وعناده، ويشهد لها قوله تعالى إخبارا عنه وعن قومه: ﴿ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾[النمل:١٣-١٤] ، فأخبر سبحانه أن تكذيبهم وكفرهم كان عن يقين. وهو أقوى العلم. ظلما منهم وعلوا، □ جهلا ».

« ومن نظر في سيرة رسول الله ﷺ مع قومه، ومع اليهود، علم أنهم كانوا جازمين بصدقه ﷺ، □ يشكون أنه صادق في قوله: إنه رسول الله، ولكن اختاروا الضلال والكفر على الإيمان.

قال المسور بن مخرمة رضي الله عنه لأبي جهل. وكان خاله. أي خال: هل كنتم تتهمون محمدا بالكذب قبل أن يقول مقالته التي قالها؟

قال أبو جهل لعنه الله تعالى: يا ابن أخي ؛ والله لقد كان محمد فينا وهو شاب يدعى الأمين، ما جربنا عليه كذبا قط، فلما وخطه الشيب لم يكن ليكذب على الله، قال: يا خال فلم □ تتبعونه؟ قال:

(٦٤) الصارم المسلول (٥١٩/١).

(٦٥) الإمام المحقق الحافظ الأصولي الفقيه شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي المشهور بابن قيم الجوزية، صنف كثيرا وأجاد ومن أشهر مصنفاته زاد المعاد والصواعق المرسلة ومدارج السالكين وغيرها، □زم شيخ الإسلام رحمه الله حتى مات، توفي سنة ٧٥١هـ، ذيل طبقات الحنابلة ٢ / ٤٤٧.

Doi: 10.33850/jasis.2020.120798

يابن أخي ؛ تنازعنا نحن وبنو هاشم الشرف، فأطعموا وأطعمنا، وسقوا وسقينا، وأجاروا وأجرنا، فلما تجاثينا على الركب، وكنا كفرسي رهان ؛ قالوا: منا نبي، فمتى ندرك هذه [٦٦].

.. ولما سأله اليهود عن التسع آيات البينات فأخبرهم بها؛ قبلوا يده وقالوا: نشهد أنك نبي، قال: فما يمنعكم أن تتبعوني؟ قالوا: إن داود ـ عليه السلام ـ دعا أن □ يزال في ذريته نبي، وإنا نخشى إن تبعناك أن تقتلنا يهود[٦٧]، فهؤ□ء قد تحققوا نبوته وشهدوا له بها، ومع هذا فآثروا الكفر والضلال، ولم يصيروا مسلمين بهذه الشهادة ».

«وعلى هذا فإنما لم يحكم لهؤ□ء اليهود الذين شهدوا له بالرسالة بحكم الإسلام، لأن مجرد الإقرار والإخبار بصحة رسالته□ يوجب الإسلام، إ□ أن يلتزم طاعته ومتابعته، و إ□ فلو قال: أنا أعلم أنه نبي، ولكن□ أتبعه و□ أدين بدينه؛ كان من أكفر الكفار، كحال هؤ□ء المذكورين وغيرهم.

وهذا متفق عليه بين الصحابة والتابعين وأئمة السنة، أن الإيمان□ يكفي فيه قول اللسان بمجرده، و□ معرفة القلب مع ذلك، بل□ بد فيه من عمل القلب؛ وهو حبه لله ورسوله، وانقياده لدينه، والتزامه طاعته، ومتابعة رسوله، وهذا خلاف من زعم أن الإيمان هو مجرد معرفة القلب، وإقراره، وفيما تقدم كفاية في أبطال هذه المقالة.

ومن قال: إن الإيمان هو مجرد اعتقاد صدق الرسول فيما جاء به، وإن لم يلتزم متابعته، وعاداه، وأبغضه، وقاتله، لزمه أن يكون هؤ□ء كلهم مؤمنين، وهذا إلزام□ محيد عنه، ولهذا اضطرب هؤ□ء في الجواب عن ذلك لما ورد عليهم، وأجابوا بما يستحي العاقل من قوله، كقول بعضهم: إن إبليس كان مستهزئا، ولم يكن يقر بوجود الله، و□ بأن الله ربه وخالقه، ولم يكن يعرف ذلك، وكذلك فرعون وقومه، لم يكونوا يعرفون صحة نبوة موسى، و□ يعتقدون وجود الصانع، وهذه فضائح، نعوذ بالله من الوقوع في أمثالها[٦٨]، ونصرة المقا□ت، وتقليد أربابها، تحمل على أكثر من هذا، ونعوذ بالله من الخذ□ن ».

« قالوا: والقلب عليه واجبان: □ يصير مؤمنا إ□ بهما جميعا، واجب المعرفة والعلم، وواجب الحب وا□نقياد وا□ستسلام، فكما□ يكون مؤمنا إذا لم يأت بواجب العلم وا□عتقاد، □ يكون مؤمنا ؛ إذا لم يأت بواجب الحب وا□نقياد وا□ستسلام، بل إذا ترك هذا الواجب، مع علمه ومعرفته به، كان أعظم كفرا، وأبعد عن الإيمان من الكافر جهلا، فإن الجاهل إذا عرف وعلم، فهو قريب إلى ا□نقياد وا□تباع، وأما المعاند فلا دواء فيه »[٦٩].

---

(٦٦) انظر البداية والنهاية (٣/ ١١٣).

(٦٧) أخرجه أحمد (ح١٧٦٢٦) والترمذي (ح٢٧٣٣) وقال حسن صحيح، والحاكم في المستدرك (١/ ٩) وصححه ووافقه الذهبي، وذكر في عون المعبود أن النسائي استنكره، وكذلك ضعفه الألباني في ضعيف سنن الترمذي برقم (٢٧٣٣)، وبين في رياض الصالحين سبب تضعيفه بأنه من رواية عبدالله بن سلمة للمرادي، وهو ضعيف□ يحتج به، لأنه كان قد كبر وتغير فساء حفظه، وعمرو بن مرة الراوي عنه روى عنه في حال تغيره، كما ذكر ذلك عنه شعبة، وكلام الشيخ أقرب للصواب حيث ضعف البخاري وأبو حاتم عبدالله بن سلمة، انظر ترجمته في تهذيب الكمال (١٥/ ٥٠)، وانظر كلام الشيخ في عبد الله بن سلمة في ضعيف أبي داود (ح٣١).

(٦٨) انظر الفصل□بن حزم (٣ / ٢٣٨ ـ ٢٣٩).

(٦٩) مفتاح دار السعادة (١/ ١٣٤ ـ ١٤٠) بتصرف يسير.

المبحث الرابع: حقيقة الكفر

ومما بينته آيات الأمر بالسجود لآدم أن الكفر يكون بالقول كما يكون بالقلب والجوارح، قال ابن القيم رحمه الله: «والكفر وإن اختلفت شعبه فيجمعه خصلتان: الأولى تكذيب الرسول في خبره، والثانية عدم ا□نقياد لأمره»(٧٠).

وقال: «وأما الكفر الأكبر فخمسة أنواع: كفر تكذيب، وكفر استكبار وإباء مع التصديق، وكفر إعراض، وكفر شك، وكفر نفاق.

فأما كفر التكذيب: فهو اعتقاد كذب الرسل، وهذا القسم قليل في الكفار، فإن الله تعالى أيد رسله، وأعطاهم من البراهين والآيات على صدقهم ما أقام به الحجة، وأزال به المعذرة، قال الله تعالى عن فرعون وقومه ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾[النمل:١٤]، وقال لرسوله: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾[الأنعام:٣٣]وإن سمي هذا كفر تكذيب أيضا فصحيح إذ هو تكذيب باللسان.

وأما كفر الإباء وا□ستكبار: فنحو كفر إبليس، فإنه لم يجحد أمر الله، و□ قابله بالإنكار، وإنما تلقاه بالإباء وا□ستكبار، ومن هذا كفر من عرف صدق الرسول وأنه جاء بالحق من عند الله ولم ينقد له إباء واستكبارا، وهو الغالب على كفر أعداء الرسل، كما حكى الله تعالى عن فرعون وقومه: ﴿فَقَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ﴾[المؤمنون:٤٧]وقول الأمم لرسلهم: ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾[إبراهيم:١٠]، وقوله :﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ﴾ [الشمس:١١]. وهو كفر اليهود كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ﴾[البقرة:٨٩]وقال :﴿يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾[البقرة:١٤٦]وهو كفر أبي طالب أيضا، فإنه صدقه ولم يشك في صدقه، ولكن أخذته الحمية وتعظيم آبائه أن يرغب عن ملتهم ويشهد عليهم بالكفر.

وأما كفر الإعراض: فأن يعرض بسمعه وقلبه عن الرسول، □ يصدقه و□ يكذبه، و□ يواليه و□ يعاديه، و□ يصغي إلى ما جاء به ألبته، كما قال أحد بني عبد ياليل للنبي: والله أقول لك كلمة، إن كنت صادقا فأنت أجل في عيني من أن أرد عليك، وإن كنت كاذبا فأنت أحقر من أن أكلمك(٧١).

أما كفر الشك: فإنه□ يجزم بصدقه و□ بكذبه، بل يشك في أمره، وهذا□ يستمر شكه إ□ إذا ألزم نفسه الإعراض عن النظر في آيات صدق الرسول جملة، فلا يسمعها و□ يلتفت إليها، وأما مع التفاته إليها ونظره فيها: فإنه□ يبقى معه شك، لأنها مستلزمة للصدق، و□ سيما بمجموعها، فإن د□لتها على الصدق كد□لة الشمس على النهار.

وأما كفر النفاق: فهو أن يظهر بلسانه الإيمان وينطوي بقلبه على التكذيب فهذا هو النفاق الأكبر»(٧٢).

---

(٧٠) أحكام أهل الذمة (٨٣٥/٢).
(٧١) تاريخ الطبري (٥٥٤/١).
(٧٢) مدارج السالكين (٣٣٧/١-٣٣٨).

 Doi: 10.33850/jasis.2020.120798

وقال الشيخ حافظ الحكمي رحمه الله: «أنواع الكفر تخرج عن أربعة: كفر جهل وتكذيب، وكفر جحود، وكفر عناد واستكبار، وكفر نفاق.

فأحدهما يخرج من الملة بالكلية، وإن اجتمعت في شخص فظلمات بعضها فوق بعض والعياذ بالله من ذلك، لأنها إما أن تنتفي هذه الأمور كلها: قول القلب، وعمله، وقول اللسان، وعمل الجوارح، أو ينتفي بعضها.

فإن انتفت كلها اجتمع أنواع الكفر غير النفاق، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ٦ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾[البقرة:٦-٧].

وإن انتفى تصديق القلب مع عدم العلم بالحق فكفر الجهل والتكذيب، قال الله تعالى: ﴿بَلۡ كَذَّبُواْ بِمَا لَمۡ يُحِيطُواْ بِعِلۡمِهِۦ وَلَمَّا يَأۡتِهِمۡ تَأۡوِيلُهُۥ﴾[يونس:٣٩]، وقال تعالى: ﴿أَكَذَّبۡتُم بِـَٔايَٰتِي وَلَمۡ تُحِيطُواْ بِهَا عِلۡمًا أَمَّاذَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾[النمل:٨٤].

وإن كتم الحق مع العلم بصدقه فكفر الجحود والكتمان، قال الله تعالى: وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ظُلۡمٗا وَعُلُوّٗاۚ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾[النمل:١٤]، وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾[البقرة:٨٩] وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنۡهُمۡ لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٤٦ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ﴾[البقرة:١٤٦-١٤٧].

وإن انتفى عمل القلب من النية والإخلاص والمحبة والإذعان مع انقياد الجوارح الظاهرة فكفر نفاق، سواء وجد التصديق المطلق أو انتفى، وسواء انتفى بتكذيب أو شك، قال الله تعالى ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ﴾[البقرة:٨] إلى قوله: ﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمۡعِهِمۡ وَأَبۡصَٰرِهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [البقرة:٢٠].

وإن انتفى عمل القلب، وعمل الجوارح، مع المعرفة بالقلب وا عتراف باللسان، فكفر عناد واستكبار، ككفر إبليس، وكفر غالب اليهود الذين شهدوا أن الرسول حق ولم يتبعوه»[٧٣].

وهذا الأصل مما خالفت فيه المرجئة من المتكلمين والجهمية كذلك، بناء على أصلهم في الإيمان وتصورهم الفاسد له، فالمتكلمون عندما عرفوا الإيمان بأنه التصديق قالوا: إن الكفر هو التكذيب، والجهمية الغالية قالت: إن الكفر هو الجهل بالله[٧٤]، قال الحميدي : «سمعت وكيعا يقول:

---

(٧٣) معارج القبول (٢/٥٩٣-٥٩٤).

(٧٤) الفصل ابن حزم (٥/٧٥).

أهل السنة يقولون: الإيمان: قول وعمل، والمرجئة يقولون: الإيمان قول، والجهمية يقولون: الإيمان: المعرفة »[٧٥].

فظنوا أنه قد يكون الإنسان مؤمنا كامل الإيمان بقلبه، وهو مع هذا يسب الله ورسوله ويعادي أولياء الله ويوالي أعداء الله، ويقتل الأنبياء ويهدم المساجد، ويهين المصاحف يكرم الكفار ويهين المؤمنين، فهذه كلها عندهم معاصي تنافي الإيمان الذي في القلب، بل قد يفعل ذلك كله وهو مؤمن في الباطن، وقالوا: إنما ثبت له أحكام الكفر في الدنيا، لأن هذه الأقوال والأفعال علامة على الكفر، فيحكم بالظاهر كما يحكم بالإقرار والشهود، وإن فرض أن الباطن بخلاف ذلك، فإذا أورد عليهم نص من الكتاب أو السنة أو الإجماع على أن الشخص من هؤء كافر في حقيقة الأمر من أهل النار في الآخرة، قالوا: إن هذا دليل على عدم التصديق، والعلم في قلبه.

والكفر عند مرجئة المتكلمين والجهمية شيء واحد، أ وهو الجهل، أو تكذيب القلب، فإنهم متنازعون، هل تصديق القلب شيء غير العلم، أو هما شيء واحد.

قال شيخ الإسلام: «وهذا القول [٧٦] مع أنه أفسد قول قيل في الإيمان فقد ذهب إليه الكثير من أهل الكلام، وقد كفر السلف كوكيع بن الجراح، والإمام أحمد وأبي عبيدة وغيرهم من يقول بهذا القول، وقالوا: فإبليس كافر بنص القرآن، وإنما كفره باستكباره وامتناعه من السجود لآدم لكونه كذب خبرا، وكذلك فرعون وقومه قال الله تعالى فيهم: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾[النمل: ١٤] وقال موسى عليه السلام لفرعون: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾[الإسراء: ١٠٢] فموسى هو الصادق المصدوق يقول ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ﴾يعني الآيات البينات ﴿إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ﴾فدل على أن فرعون كان عالما بأن الله تعالى أنزل هذه الآيات، وهو من أكثر خلق الله عنادا وبغيا لفساد إرادته وقصده لعدم علمه، وقال تعالى في أهل الكتاب: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾[البقرة: ١٤٦]، وكذلك كثير من المشركين الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾[الأنعام: ٣٣]»[٧٧].

(٧٥) الشريعة للآجري (٢/٦٤٠)، وكيع بن الجراح بن مليح بن عدي الرؤاسي الإمام الحافظ محدث العراق، كان من بحور العلم قال أحمد:ما رأيت أحدا أحفظ للعلم و أوعى من وكيع، وغيره، توفي سنة (١٩٦هـ).
(٧٦) يعني قول الجهمية إن الإيمان المعرفة والكفر هو الجهل.

(٧٧) مجموع الفتاوى (١٨٩/٧).

ثم بين شيخ الإسلام أن سبب وقوعهم في هذه اللوازم الشنيعة غلطهم في أصلين: أحدهما: ظنهم أن الإيمان مجرد تصديق وعلم فقط، ليس مع عمل وحال وحركة وإرادة ومحبة وخشية في القلب، وهذا من أعظم غلط المرجئة مطلقا، فإن كل أعمال القلوب مما فرضه الله ورسوله فهو من الإيمان الواجب، وكل ما فيها من الإيمان مما أحبه الله ولم يفرضه فهو من الإيمان المستحب، فالأول□ بد لكل مؤمن منه، ومن اقتصر عليه فهو من الأبرار أصحاب اليمين، والثاني للمقربين السابقين.

والأصل الثاني الذي غلطوا فيه: ظنهم أن كل من حكم الشارع بأنه كافر مخلد في النار، فذلك لأنه لم يكن في قلبه شيء من العلم، والتصديق، وهذا أمر خالفوا فيه الحس، والعقل، والشرع وعامة أهل العقل والنظر.

فإن الإنسان قد يعرف الحق الذي مع غيره، ومع هذا يجحده حسدا له، أو لطلب علوه عليه، أو لهوى النفس، ويحمله ذلك الهوى على أن يعتدي عليه ويرد ما يقول بكل طريق، وهو في قلبه يعلم أن الحق معه.

وعامة من كذب الرسل علموا أن الحق معهم، وأنهم صادقون، لكن الحسد وإرادة العلو والرياسة وحبهم لما هم عليه، وإلفهم لما ارتكبوه أوجب له التكذيب والمعاداة لهم... بل أبو طالب وغيره كانوا مع محبتهم للنبي ﷺ ومحبتهم لعلو كلمته من عدم حسدهم له وعلمهم بصدقه، وحملهم إلفهم لدين قومهم وكراهتهم لفراقه، وخوفهم من ذم قريش لهم، على عدم اتباعه على دينه القويم وهديه المستقيم، فلم يتركوا الإيمان لعدم العلم، بل لهوى الأنفس، فكيف يقال مع هذا أن كل كافر إنما كفر لعدم علمه بالله [٧٨].

والخلاصة أن كفر إبليس بإبائه واستكباره أصل في تصور الكفر في مذهب السلف، وهو صورة منعكسة من تصورهم الصائب للإيمان، ولهذا قالوا إنه كما أن الإيمان شعب وأنه أصل وفرع، فكذلك قالوا إن الكفر شعب متعددة، وإن له أصلا وفرعا، وحينئذ فقد يجتمع في الإنسان إيمان ونفاق، وبعض شعب الإيمان وشعبة من شعب الكفر، كما في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: « أربع من كن فيه كان منافقا خالصا، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا حدث كذب، وإذا ائتمن خان، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر»[٧٩]، وقد ثبت في الصحيح ﷺ أنه قال لأبي ذر: « إنك امرؤ فيك جاهلية » [٨٠].

وفي الصحيحين من حديث جرير وابن عمر عن النبي ﷺ أنه قال في حجة الوداع: «□ ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض »[٨١] ورواه البخاري من حديث ابن عباس، وفي البخاري عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا قال الرجل لأخيه: يا كافر ؛ فقد باء بها أحدهما »[٨٢].

---

(٧٨) انظر مجموع الفتاوى (١٩٠/٧-١٩١).
(٧٩) أخرجه البخاري (ح٣٣) ومسلم (ح٨٨) عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما.
(٨٠) أخرجه البخاري (ح٥٥٩٠) ومسلم (ح٣١٣٩).
(٨١) وأخرجه البخاري (ح١٢١)، ومسلم (ح٦٥) عن جرير بن عبدالله البجلي رضي الله عنه.
(٨٢) أخرجه البخاري (ح ٦١٠٣).

ونظائر هذا موجودة في الأحاديث، وقال ابن عباس وغير واحد من السلف في قوله تعالى:﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَـٰفِرُونَ ﴾[المائدة: ٤٤]: كفر دون كفر، وفسق دون فسق، وظلم دون ظلم، وقد ذكر ذلك أحمد والبخاري وغيرهما »[٨٣].

قال الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن: « الأصل الثاني: أن الإيمان أصل، له شعب متعددة، كل شعبة منها تسمى إيمانا، فأعلاها: شهادة أن إله إ الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، فمنها: ما يزول الإيمان بزواله إجماعا، كشعبة الشهادتين، ومنها: ما يزول بزواله إجماعا، كترك إماطة الأذى عن الطريق، وبين هاتين الشعبتين شعب متفاوتة، منها: ما يلحق بشعبة الشهادة، ويكون إليها أقرب، ومنها ما يلحق إماطة الأذى عن الطريق، ويكون إليها أقرب، والتسوية بين هذه الشعب في اجتماعها مخالف للنصوص، وما كان عليه سلف الأمة وأئمتها.

كذلك الكفر: أيضا ذو أصل وشعب، فكما أن شعب الإيمان إيمان، فشعب الكفر كفر، والمعاصي كلها من شعب الكفر، كما أن الطاعات كلها من شعب الإيمان، و يسوى بينهما في الأسماء والأحكام، وفرق بين من ترك الصلاة، أو الزكاة أو الصيام أو أشرك بالله، أو استهان بالمصحف؛ وبين من يسرق ويزني أو يشرب أو ينهب أو صدر منه نوع موة.. فمن سوى بين شعب الإيمان في الأسماء والأحكام، أو سوى بين شعب الكفر في ذلك، فهو مخالف للكتاب والسنة، خارج عن سبيل سلف الأمة»[٨٤].

(٨٣) باختصار من الفتاوى (٧/ ٥١٤) وما بعد.
(٨٤) الدرر السنية (١/ ٢٩٣ ـ ٢٩٤).

المبحث الخامس: إثبات القدر

وفي آيات السجود لآدم إثبات بعض مسائل القدر على مذهب السلف، ومن ذلك:

١. سبق علم الله بما يكون من العباد طاعاتهم ومعاصيهم، خلافا للفلاسفة القائلين بأنه تعالى □ يعلم الجزئيات وإنما يعلم الكليات، وخلافا لقول القدرية الأولى التي نفت العلم، وذلك من قوله تعالى: ﴿وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾[البقرة:٣٤]، قال ابن جرير[٨٥]: «يقول: وكان بتعظمه ذلك، وتكبره على ربه ومعصيته أمره، ممن كفر في علم الله السابق، فجحد ربوبيته، وأنكر ما عليه الإقرار له به من الإذعان بالطاعة،كما حدثنا أبو كريب، قال: قال أبو بكر في:﴿وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ قال: قال ابن عباس: «كان في علم الله من الكافرين»[٨٦].

وقال ابن كثير: « عبد الله بن بريدة: قوله تعالى: ﴿وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ من الذين أبوا، فأحرقتهم النار.

وعن أبي العالية[٨٧]: ﴿وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾يعني: من العاصين، وقال السدي[٨٨]: ﴿وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾الذين لم يخلقهم الله يومئذ يكونون بعد.

وقال محمد بن كعب القرظي: ابتدأ الله خلق إبليس على الكفر والضلالة، وعمل بعمل الملائكة، فصيره إلى ما أبدى عليه خلقه من الكفر، قال الله تعالى: ﴿وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾»[٨٩].

قال القرطبي[٩٠]: «وقال ابن فورك [٩١]: (كان) هنا بمعنى صار؛ خطأ ترده الأصول، وقال جمهور المتأولين: المعنى أي كان في علم الله تعالى أنه سيكفر، □ن الكافر حقيقة والمؤمن حقيقة هو الذي قد علم الله منه الموافاة، قلت: وهذا صحيح، لقوله ﷺ في صحيح البخاري: «وإنما □ □عمال بالخواتيم»[٩٢].

وقال الشيخ ابن عثيمين: «زعم بعض العلماء أن المراد: كان من الكافرين في علم الله بناء على أن (كان) فعل ماض؛ والمضي يدل على شيء سابق؛ لكن هناك تخريجا أحسن من هذا: أن نقول: إن (كان) تأتي أحيانا مسلوبة الزمان، ويراد بها تحقق اتصاف الموصوف بهذه الصفة؛ ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[النساء:٩٦]، وقوله تعالى: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾[النساء:١٥٨]، وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا﴾[النساء:١٣٤]، وما أشبهها؛ هذه ليس المعنى أنه كان فيما مضى؛ بل □ يزال؛ فتكون (كان) هنا مسلوبة الزمان، ويراد بها تحقيق اتصاف الموصوف بما دلت عليه الجملة؛ وهذا هو الأقرب، وليس فيه تأويل؛ ويجرى الكلام على ظاهره»[٩٣].

---

(٨٥) محمد بن جرير بن يزيد بن كثير ، الإمام العلم المجتهد ، عالم العصر أبو جعفر الطبري ، صاحب التصانيف البديعة ، ومن أشهرها تفسيره جامع البيان وكتابه التاريخ، متوفى سنة (٣١١ هـ)، الأعلام (٦٩/٦).
(٨٦) تفسير الطبري (٢٣٩/٢١).
(٨٧) رفيع بن مهران الإمام المقرىء الحافظ المفسر الرياحي البصري أحد الأعلام، أدرك زمان النبي ﷺ وهو شاب وأسلم في خلافة ابي بكر الصديق رضي الله عنه، قال عن نفسه: قرأت القرآن بعد وفاة نبيكم بعشر سنين، وقال: قرأت القرآن على عمر ثلاث مرات، توفي رحمه الله سنة (٩٠) أو (٩٣ هـ)، السير (٤/ ٢٠٧).
(٨٨) إسماعيل بن عبد الرحمن السدي: تابعي، حجازي □صل، سكن الكوفة،صاحب التفسير والمغازي والسير، وكان إماما عارفا بالوقائع وأيام الناس، توفي سنة (١٢٨هـ)، الأعلام للزركلي (٣١٧/١).
(٨٩) فسير ابن كثير (٢٣١/١-٢٣٢) بتصرف يسير.
(٩٠) أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي المفسر صاحب التفسير المشهور، توفي سنة (٦٧١هـ)، الأعلام (٣٢٢/٥).

(٩١) محمد بن الحسن بن فورك ا□نصاري ا□صبهاني، أبو بكر: واعظ عالم بالأصول والكلام، من فقهاء الشافعية، توفي سنة (٤٠٦هـ)، الأعلام (٨٣/٦).
(٩٢) أخرجه البخاري (ح٦٤٩٣) عن سهل بن سعد.
(٩٣) موقع الشيخ ابن عثيمين.

٢. ومن ذلك أن العبد فاعل لفعله حقيقة، بقدرته ومشيئته، وذلك من قوله ﴿أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ﴾[البقرة: ٣٤].

فقد نسب الفعل لإبليس، ثم ذمه على ذلك وتوعده، قال ابن تيمية رحمه الله: «أئمة أهل السنة يقولون: إن الله خالق الأشياء بالأسباب وأنه خلق للعبد قدرة يكون بها فعله، وأن العبد فاعل لفعله حقيقة، فقولهم في خلق فعل العبد بإرادته وقدرته كقولهم في خلق سائر الحوادث بأسبابها»[٩٤].

وقال أيضا: «جماهير أهل السنة من أهل الحديث والفقه والتفسير والتصوف متفقون على أن الله خالق أفعال العباد، وعلى أن العبد قادر مختار يفعل بمشيئته وقدرته، وعلى الفرق بين الأفعال ا□ختيارية وا□ضطرارية»[٩٥].

خلافا للجهمية القائلين بأن أفعال العباد تنسب لهم على سبيل المجاز، وإ□ فإن الفاعل حقيقة هو الله، وأن العباد □ قدرة لهم و□ مشيئة[٩٦]، وخلافا أيضا للأشاعرة الذين أثبتوا قدرة غير مؤثرة وسموا فعل العبد كسبا، وقد حاول الشهرستاني[٩٧] أن يدافع عن القائلين بالكسب وادعى أنهم ليسوا جبرية بمعنى أنهم يثبتون للقدرة أثرا ما [٩٨]، وهذا □ يجدي كثيرا لأن هذا الأثر الذي يدعيه□ يعرف له حقيقة بل هو غير معقول، والقائلون بالكسب منهم من يقول: إن قدرة العبد يوجد عندها الفعل فلا يجعلها سببا في وجود الفعل، ولهذا عد شيخ الإسلام رحمه الله قول الأشعري موافقا للجهمية في المعنى [٩٩].

ويلزم الجبرية نسبة الظلم إلى الله تعالى إذ يذم إبليس ويعاقبه على فعل□ قدرة له و□ مشيئة فيه، وهذا خلاف المنصوص عليه برفع التكليف عن المكره وفاقد ا□ختيار، كقوله تعالى: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾[النحل:١٠٦] ولولم يكن للقدرة البشرية والمشيئة أثر في وجود الكفر ما كان ثمة فرق بين المكره والمختار في الكفر.

قال الشيخ حافظ الحكمي رحمه الله: «قول الجبرية الغلاة الجفاة، الذين يقولون: إن العبد مجبور على أفعاله، مقسور عليها، كالسعفة يحركها الريح العاصف، كالهاوي من أعلى إلى أسفل، وإن تكليف الله سبحانه وتعالى عباده من أمرهم بالطاعات ونهيهم عن المعاصي؛ كتكليف الحيوان البهيم بالطيران، وتكليف المقعد بالمشي، وتكليف الأعمى بنقط الكتاب، وإن تعذيبه إياهم على معصيتهم

---

(٩٤) منهاج السنة (٣١/٣).
(٩٥) منهاج السنة (١٢٨/٣ ـ ١٢٩) بتصرف يسير.
(٩٦) يزعم أتباع هذا المذهب أن العبد □ قدرة له على فعله و□ إرادة بل هو مسير محكوم كالريشة في مهب الريح، وينسبون أفعال العبد إلى الله تعالى خلقا وقدرة وفعلا، والجبرية المحضة هم أتباع جهم وهذا قوله في المسألة وكفره به الأئمة وبغيره من أقواله الشاذة، انظر الفرق بين الفرق(ص١٩٩)،

(٩٧) أبو الفتح محمد بن عبدالكريم بن أحمد الشهرستاني وصاحب ومنها نهاية الإقدام وكتاب الملل والنحل ، توفي سنة (٥٤٩هـ) ، السير (٢٨٦/٢٠). .

(٩٨) الملل والنحل(ص٧٢).

(٩٩) منهاج السنة (٣١/٣ و١٠٩ ـ ١١٣)، ولهذا جعل بعض المصنفين كسب الأشعري من عجائب علم الكلام، انظر شفاء العليل □بن القيم(ص١١٠).

إياه هو تعذيب لهم على فعله، □ على أفعالهم، وإن ذلك كتعذيب الطويل لم لم يكن قصيرا، والقصير لِمَ لم يكن طويلا، والأسود لِمَ لم يكن أبيض، والأبيض لِمَ لم يكن أسود، فسلبوا العبد قدرته واختياره، وأخرجوا عن أفعال الله تعالى وأحكامه حكمها ومصالحها، ونفوا عن الله تعالى حكمته البالغة، وجحدوا حجته الدامغة، وأثبتوا عليه تعالى الحجة لعباده، ونسبوه تعالى إلى الظلم، وطعنوا في عدله وشرعه، فلا قيام عندهم لسوق الجهاد، و□ معنى لإقامة الحدود، و□ للثواب والعقاب، بل و□ لإرسال الرسل والكتب، إ□ التكليف في غير وسع، وتحميل ما□ يطاق، والظلم الذي حرمه الله تعالى على نفسه، وجعله بين عباده محرما، فأقاموا عذر إبليس اللعين، وعذر فرعون، وهامان وقارون، وسائر الأمم العصاة الممقوتين المقبوحين، المغضوب عليهم، المخسوف بهم، المعدة لهم جهنم وساءت مصيرا، وأن غضب الله عليهم ولعنه وعقابه إياهم، على فعله□ على أفعالهم، بل قالوا: إنه عاقبهم ومقتهم على طاعتهم إياه، لأنهم إن كانوا خالفوا شرعه، فقد أطاعوا إرادته ومشيئته، هذا معنى إثبات القدر عند هذه الفرقة الإبليسية»[١٠٠].

٣. ومن ذلك إثبات عموم خلقه تعالى للخير والشر، ومنه أفعال العباد، وهو مذهب أئمة السلف، خلافا للمجوس القائلين بالأصلين النور والظلمة، وللقدرية من المعتزلة وغيرهم الذين نفوا عموم خلقه تعالى لأفعال العباد، قال أبو الحسن الأشعري: « أجمعت المعتزلة على أن الله سبحانه لم يخلق الكفر والمعاصي و□ شيئا من أفعال غيره »[١٠١]، ولذا سماهم السلف مجوس هذه الأمة[١٠٢].

فإن الله تعالى حكى عن إبليس أنه قال معللا امتناعه: ﴿أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ﴾[الأعراف:١٢] فأثبت خلق الله له وهو أصل كل الشرور.

و□ يتنافى هذا مع نفي الشر والسوء عن خلقه تعالى، وقد قال سبحانه: ﴿ ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ ﴾ [السجدة:٧]، وفي قراءة بتسكين اللام أي {خلقه} وفي تفسيرها عدد من الأقوال [١٠٣]، قال البقاعي[١٠٤]: «ولما كان هذا الإحسان عاما، خصه بأن وصفه - على قراءة المدني والكوفي - بقوله: {خلقه} فبين أن ذلك بالإتقان والإحكام، كما فسر ابن عباس رضي الله عنهما من حيث التشكيل والتصوير، وشق المشاعر، وتهيئة المدارك، وإفاضة المعاني، مع المفاوتة في جميع ذلك، وإلى هذا أشار الإبدال في قراءة الباقين، وعبر بالحسن لأن ما كان على وجه الحكمة كان حسنا وإن رآه الجاهل القاصر قبيحا»[١٠٥].

(١٠٠) معارج القبول، وانظر شفاء العليل (ص٤).
(١٠١) مقا□ت الإسلاميين (٢٩٨/١).
(١٠٢) الإبانة □بن بطة (٩٥/٢).
(١٠٣) انظر تفسير ابن جرير (١٧٠/٢٠).

(١٠٤) ابراهيم بن عمر بن حسن الرباط، الخرباوي، البقاعي، الشافعي، عالم، اديب، مفسر، محدث، ومؤرخ، أصله من البقاع في سورية، وسكن دمشق ورحل إلى بيت المقدس والقاهرة، وتوفي بدمشق، له العديد من المصنفات منها تفسيره، توفي سنة (٨٨٥هـ)، الأعلام للزركلي (٥٦/١).
(١٠٥) نظم الدرر (٢٤٣/١٥).

وقال: ﴿وَتَرَى ٱلۡجِبَالَ تَحۡسَبُهَا جَامِدَةٗ وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِۚ صُنۡعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتۡقَنَ كُلَّ شَيۡءٍۚ﴾[النمل:٨٨]، قال ابن عادل: «أي: انظروا صنع الله وعليكم به، والإتقان: الإتيان بالشيء على أكمل حا□ته،...ومعنى ﴿أَتۡقَنَ كُلَّ شَيۡءٍۚ﴾أي: أحكمه»(١٠٦).

وقال: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾[الأعلى:٢]،قال ابن كثير: «أي: خلق الخليقة وسوى كل مخلوق في أحسن الهيئات»(١٠٧).

ود□لة الآيات وغيرها أن الله نفى عن خلقه القبح والخلل، و□شك أن الخلل والقبح شر، سواء ما كان من أفعال المكلفين أو غيرها.

وقد صح عنه ﷺ من حديث علي رضي الله عنه في حديث □ستفتاح بالليل قوله: «لبيك وسعديك والخير كله في يديك والشر ليس إليك »(١٠٨).

قال الطحاوي: «فتأملنا قوله ﷺ:«والشر ليس إليك» فوجدناه محتملا أن يكون أراد به والشر غير مقصود به إليك لأن من يعمل الخير يقصد به إلى الله عز وجل رجاء ثوابه وإنجاز ما وعد عليه ومن عمل شرا فليس يقصد به إلى الله عز وجل وإن كان كل واحد من الخير ومن الشر فمن الله عز وجل، كما قال عز وجل: ﴿وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِكَۚ قُلۡ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ﴾[النساء:٧٨] أي فإن ذلك كله من عند الله فييسر أهل السعادة للخير فيعملونه فيثيبهم ويجازيهم عليه وييسر أهل الشقاء للشر فيعملونه فيعاقبهم عليه إ□ أن يعفو عنهم فيما يجوز عفوه عن مثله وهو ما خلا الشرك»(١٠٩).

وقال النووي: «وأما قوله: «والشر ليس إليك» فمما يجب تأويله، لأن مذهب أهل الحق أن كل المحدثات فعل الله تعالى وخلقه، سواء خيرها وشرها، وحينئذ يجب تأويله، وفيه خمسة أقوال أحدها: معناه□ يتقرب به إليك، والثاني: معناه□ يضاف إليك على انفراده،□ يقال: يا خالق القردة والخنازير و يارب الشر ونحو هذا، وإن كان خالق كل شيء ورب كل شيء، وحينئذ يدخل الشر في العموم، والثالث: معناه والشر □ يصعد إليك، إنما يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح، والرابع: معناه والشر ليس شرا بالنسبة إليك فإنك خلقته بحكمة بالغة وإنما هو شر بالنسبة إلى المخلوقين، والخامس: حكاه الخطابي أنه كقولك فلان إلى بني فلان إذا كان عداده فيهم أو صفوه إليهم»(١١٠).

وكل هذه الأقوال مردها إلى أن المعنى: الشر□ ينسب إليك، وهو كذلك فليس في خلق الله و□ في فعله شر في نفسه، وإن كان شرا بالنسبة لبعض خلقه.

(١٠٦) اللباب (٢٠٧/١٥).

(١٠٧) تفسير القرآن العظيم (٣٧٩/٨).
(١٠٨) أخرجه مسلم (ح٧٧١) ولفظه طويل.
(١٠٩) شرح مشكل الآثار (٩٥/٤).
(١١٠) المنهاج (٥٩/٦)

فهذه النصوص وغيرها تدل على أن أفعال الله كلها خير وحكمة، وخلقه كله خير، ليس فيها شر محض و□ ضرر محض بل يفعل ويخلق بعلم وحكمة ورحمة.

وخيرية الإله أمر متفق عليه بين العقلاء من أتباع الأديان حتى تلك المحرفة والوضعية والفلسفية، إذ الرب في تصور الجميع يجب أن يكون مصدر جلب الخير ودفع الشر، وقد وقع بعض الناس في إشكال بين هذه المسلمة وبين حقيقة وجود الشر في العالم، سواء كان الشر من فعل الإنسان كالظلم والقتل والسرقة ونحوها، أو ما يحدث في الكون من الز□زل والأمراض والفيضانات ونحوها، فكيف يوفقون بين خيرية الإله وبين خلقه لهذه الشرور؟

والإيمان بعموم خلق الله تعالى مركوز في أصل الفطرة، ولم يخالف فيه إ□ بعض الفلاسفة وبعض أتباع الديانات الذين أنكروا أن يكون الله خالقا للشر، ومن أشهر القائلين بذلك المجوس[١١١] والديصانية[١١٢] والمزدكية[١١٣]، قال ابن حزم[١١٤] حاكيا عنهم حجتهم على قولهم هذا: «قالوا: وجدنا الحكيم□ يفعل الشر، و□ يخلق خلقا ثم يسلط غيره عليه، وهذا عيب في المعهود، ووجدنا العالم كله ينقسم قسمين، كل قسم منهما ضد الآخر كالخير والشر، والفضيلة والرذيلة والحياة والموت والصدق والكذب، فعلمنا أن الحكيم□ يفعل إ□ الخير، وما يليق فعله به، وعلمنا أن الشرور لها فاعل غيره وهو شر مثلها»[١١٥].

ومقصودهم بهذا النفي تنزيه البارئ بناء على أن خالق الشر عندهم شر هو بنفسه، ولهذا برروا وجود الشر بأنه مخلوق بواسطة، قال ابن حزم رحمه الله: «فإن المتكلمين ذكروا عنهم أنهم يقولون: إن البارئ عزوجل لما طالت وحدته استوحش فلما استوحش فكر فكرة سوء فتجسمت فاستحالت ظلمة فحدث منها أهرمن وهو إبليس... وشرع أهرمن في خلق الشر»[١١٦]، فحتى إبليس ابتعدوا عن التلفظ بخلق الله له وكذلك الظلمة، بل أضافوا خلقه إلى نفسه حيث قالوا «فاستحالت» ولم يقولوا: خلقها الله، لأنهم يعلمون أنه يلزمهم في هذا ما يلزمهم في سائر الشرور.

---

(١١١) هم عبدة النيران القائلون أن للعالم أصلين نور وظلمة، وهم من أقدم الطوائف وأصلهم من بلاد فارس، ومسائل المجوس كلها تدور حول قاعدتين: بيان سبب امتزاج النور بالظلمة، والثانية: سبب خلاص النور من الظلمة، ولهم في هذا تفصيلات ومذاهب شتى، انظر الملل والنحل(٢٥٧/٢) وما بعدها.

(١١٢) أتباع ديصان وقيل ابن ديصان، كان أسقفا بالرهاء، سمي ديصانا نسبة إلى نهر يسمى ديصان وجد عليه منبوذا وهو من القائلين بالأصلين النور والظلمة فالنور يفعل الخير قصدا واختيارا والظلمة تفعل الشر طبعا واضطرارا، انظر الملل والنحل(٢٧٨/٢) والكامل في التاريخ □بن الأثير(٢٩٤/١).

(١١٣) أتباع مزدك، ظهر في أيام قباذ بن فيروز والد أنوشروان ودعاه إلى مذهبه فأجابه، ثم ظفر به أنوشروان وعلم خبث مذهبه فقتله، والمزدكية من فرق المجوس القائلين بالأصلين النور والظلمة، فإن مزدك ادعى أنه يدعو إلى دين الخليل عليه السلام وكان تابعا لزرادشت في بعض ما جاء به، وكان مع هذا إباحيا يدعو إلى شيوع المال والنساء، وحرم على أتباعه اللحم، انظر الملل والنحل(٢٧٥/٢)، والكامل □بن الأثير(٣٧٧/١ و٣٩٥).

(١١٤) أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم ، ناصر المذهب الظاهري وحامل لوائه ، وألف في ذلك المجلى والمحلى وهو مطبوع ، وله في الأصول : أحكام الأحكام ، وله في الفرق الفصل في الملل والأهواء والنحل ، توفي سنة (٤٥٦ هـ)، السير (١٨٤/١٨) .

(١١٥) الفصل (٩٣/١)، شرح المقاصد للتفتازاني (١٠٢/٤).

(١١٦) الفصل (٨٦/١).

وهذا الخلط كله نتج عن التباس لدى كل هؤ□ء الملاحدة وغيرهم من المجوس وأشباههم من الإسلاميين، في أمرين:

الأول: أنهم لم يفرقوا بين فعل الله القائم به وبين مفعوله المنفصل عنه، فالشر في الثاني□ في الأول، والشر □ ينسب إلى خالقه بل إلى فاعله وفرق بينهما، وذلك كالفرق بين الخياط الذي يخيط الثوب بإتقان وبين□بس الثوب على غير وضعه فيذم اللابس دون الصانع، ولله المثل الأعلى.

الأمر الآخر: أنهم لم يفرقوا بين الشر المحض الذي□ يكون فيه حكمة و□ خير و□ مصلحة وبين الشر النسبي الذي يكون فيه شر لبعض خلقه وخير لبعض آخر، فهذا الشر وإن لم ينسب إليه أدبا معه تعالى فهو خالقه وله فيه حكمة وخير ومصلحة يعلمها البعض وتخفى عن البعض، وكل ما نراه في الأرض من أنواع الشرور هو من هذا القبيل.

وبهذا نعلم أنه□ تعارض بين الخيرية المطلقة للرب تبارك وتعالى وبين هذا الشر الموجود في العالم، ومنه إبليس.

قال ابن القيم رحمه الله في الفرق بين الحسنة والسيئة: « أن الحسنة مضافة إليه لأنه أحسن بها من كل وجه وبكل اعتبار كما تقدم فما من وجه من وجوهها إ□ وهو يقتضي الإضافة إليه وأما السيئة فهو سبحانه إنما قدرها وقضاها لحكمته وهي باعتبار تلك الحكمة من إحسانه فإن الرب سبحانه□ يفعل سوأ قط كما□ يوصف به و□ يسمى باسمه بل فعله كله حسن وخير وحكمة كما قال تعالى بيده الخير وقال أعرف الخلق به والشر ليس إليك فهو □ يخلق شرا محضا من كل وجه بل كل ما خلقه ففي خلقه مصلحة وحكمة وإن كان في بعضه شر جزئي إضافي وأما الشر الكلي المطلق من كل وجه فهو تعالى منزه عنه وليس إليه»[١١٧].

وقال: « فتبارك وتعالى عن نسبة الشر إليه، بل كل ما نسب إليه فهو خير، والشر إنما صار شرا □نقطاع نسبته وإضافته إليه، فلو أضيف إليه لم يكن شرا، وهو سبحانه خالق الخير والشر، فالشر في بعض مخلوقاته□ في خلقه وفعله، وخلقه وفعله وقضاؤه وقدره خير كله، ولهذا تنزه سبحانه عن الظلم الذي حقيقته وضع الشيء في غير موضعه، فلا يضع الأشياء إ□ في مواضعها اللائقة بها، وذلك خير كله، والشر وضع الشيء في غير محله، فإذا وضع في محله لم يكن شرا، فعلم أن الشر ليس إليه»[١١٨].

وقال كذلك: « ونكتة المسألة، الفرق بين ما هو فعل له تستلزم محبته وقوعه منه، وبين ما هو مفعول له□ تستلزم محبته له وقوعه من عبده، وإذا عرف هذا فالظلم والكفر والفسوق والعصيان وأنواع الشرور واقعة في مفعو□ته المنفصلة التي□ يتصف بها، دون أفعاله القائمة به، ومن انكشف له لهذا المقام فهم معنى قوله صﷺ: «والشر ليس إليك» فهذا الفرق العظيم يزيل أكثر الشبه التي حارت لها عقول كثير من الناس في هذا الباب، وهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بأذنه، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، فما في مخلوقاته ومفعو□ته تعالى من الظلم والشر

(١١٧) شفاء العليل (١٦٩).
(١١٨) السابق (ص١٧٩)

فهو بالنسبة إلى فاعله المكلف الذي قام به الفعل، كما أنه بالنسبة إليه يكون زنا وسرقة وعدوانا وأكلا وشربا ونكاحا، فهو الزاني السارق الآكل الناكح، والله خالق كل فاعل وفعله، وليست نسبة هذه الأفعال إلى خالقها كنسبتها إلى فاعلها الذي قامت به، كما أن نسبة صفات المخلوقين إليه كطوله وقصره وحسنه وقبحه وشكله ولونه ليست كنسبتها إلى خالقها فيه، فتأمل هذا الموضع وأعط الفرق حقه وفرق بين النسبتين، فكما أن صفات المخلوق ليست صفات لله بوجه، وان كان هو خالقها، فكذلك أفعاله ليست أفعا□ لله تعالى، و□ إليه،وان كان هو خالقها»(١١٩).

٤. ومن ذلك إثبات الإرادة الكونية، فإن الله تعالى أثبت وقوع المعصية من إبليس مع علمه بها وذمه وبغضه لها، وهذا إذا جمعناه مع ما ثبت من قدرته المطلقة وكمال قوته دليل على أنه□ يكون في الكون شيء إ□ بإرادته تعالى ولو لم يكن من محبوباته، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾ [البقرة:٢٥٣].

٥. ومن ذلك أن الإيمان والهداية والتوفيق لها منة من الله تعالى، و□ يلزمه تعالى أن يفعل بعبده الأصلح للعبد، و□ يجب عليه تعالى أن يلطف بعبده ما يوفقه به للطاعة، خلافا للمعتزلة القائلين بوجوب فعل الأصلح على الله، ووجب اللطف عليه تعالى.

فإن الله تعالى علم من إبليس الكفر والمعصية قبل خلقه ومع ذلك لم يعنه ولم يفعل به الأصلح له، بل أضله الله وأغواه بمنعه فضل الهداية والتوفيق له، ولهذا حكى الله عنه قوله:﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾[الأعراف:١٦].

قال السفاريني(١٢٠) رحمه الله شارحا مسألة الصلاح والأصلح: «وحاصلها أن المعتزلة قالوا بوجوب ما هو الأصلح للعباد عليه تعالى، وتفصيل ذلك أنهم اتفقوا بعد القول بوجوب الأصلح للعباد عليه تعالى وعلى وجوب الإقدار والتمكين وأقصى ما يمكن في معلوم الله تعالى مما يؤمن عنده الكافر ويطيع العاصي، وأنه تعالى فعل بكل أحد غاية مقدوره من الأصلح، قالوا: وليس في مقدوره -تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا- لطف لو فعل بالكفار لآمنوا جميعا، وإ□ لكان تركه بخلا وسفها.. وقالوا: نحن نقطع بأن الحكيم إذا أمر بطاعته أحدا، وقدر على أن يعطي المأمور ما يصل به إلى الطاعة من غير تضرر بذلك، ثم لم يفعل؛ كان مذموما عند العقلاء، معدودا في زمرة البخلاء، وكذلك من دعا عدوه إلى الموا□ة والرجوع إلى الطاعة والمصافاة؛□ يجوز أن يعامله من الغلظ واللين إ□ بما هو أنجع في حصول المراد وأدعى إلى ترك العناد»(١٢١).

---

(١١٩) مفتاح دار السعادة (١١٢/٢).
(١٢٠) محمد بن أحمد بن سالم بن سليمان السفاريني النابلسي الحنبلي أبو العون شمس الدين ، محدث فقيه أصولي مؤرخ ، من مصنفاته، ولوامع الأنوار البهية شرح منظومة الدرة المضية في عقيدة الفرقة المرضية وغيرها ، توفي سنة (١١٨٨هـ) ، معجم المؤلفين (٢٦٢/٨) .
(١٢١) لوامع الأنوار البهية(٣٢٩/١).

وقال كذلك : «ولمذهب المعتزلة لوازم فاسدة تدل على فساده، منها: أن القربات من النوافل صلاح، فلو كان الصلاح واجبا وجبت وجوب الفرائض.
ومنها : أن خلود أهل النار يجب أن يكون صلاحا لهم دون أن يردوا فيعتبوا ربهم ويتوبوا إليه، و□ ينفعكم اعتذاركم عن هذا بأنهم لو ردوا لعادوا، فإن هذا حق، ولكن لو أماتهم وأعدمهم فقطع عتابهم كان أصلح لهم، ولو غفر لهم وأخرجهم من النار كان أصلح من إماتتهم وإعدامهم، ولم يتضرر سبحانه بذلك.
ومنها: أن عدم خلق إبليس وجنوده أصلح للخلق وأنفع، وقد خلقه الباري جل شأنه، وأيضا إنظاره وتمكينه وتمكين جنوده وجريانهم من الآدمي مجرى الدم في أبشارهم ينافي مذهبهم، فكان يلزمهم أن□ يكون شيء من ذلك، والواقع خلافه».

وقال: «وأيضا يلزم القائلين بوجوب الأصلح أن يوجبوا على الله عز وجل أن يميت كل من علم من الأطفال أنه لو بلغ لكفر وعاند، فإن اخترامه هو الأصلح له بلا ريب، أو أن يجحدوا علمه سبحانه بما سيكون قبل كونه، التزمه سلفهم الخبيث الذين اتفق سلف الأمة على تكفيرهم، و□ خلاص لهم عن أحد هذين الإلزامين إ□ بالتزام مذهب أهل السنة والجماعة؛ من أن أفعال الله□ تدخل تحت شرائع عقولهم القاصرة، و□ تقاس بأفعالهم الخاسرة، أفعاله تعالى□ تشبه أفعال خلقه، و□ صفاته صفاتهم، و□ ذاته ذواتهم، إذ ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾[الشورى:١١].

وأيضا، يلزمهم أن من علم الله تعالى إذا بلغ من الأطفال يختار الإيمان، والعمل الصالح أن□ يميته طفلا، فإن الأصلح في حقه أن يحييه حتى يبلغ ويؤمن ويعمل صالحا، فينال بذلكم الدرجات العالية، وهذا ما□ جواب لهم عنه.
وأيضا، يلزمهم أن يقولوا: ليس في مقدور الله تعالى لطف لو فعله تعالى بالكفار لآمنوا، وقد التزمه المعتزلة القدرية، وبنوه على أصلهم الفاسد، أنه يجب على الله تعالى أن يفعل في حق كل عبد ما هو الأصلح له، فلو كان في مقدوره ما يؤمن العبد عنده لوجب عليه أن يفعله به، والقرآن من أوله إلى آخره يرد هذا القول ويكذبه، ويخبر سبحانه وتعالى أنه لو شاء لهدى الناس جميعا، ولو شاء لآمن من في الأرض كلهم جميعا.
وأيضا يلزمهم - وقد التزموه - أن لطفه تعالى ونعمته وتوفيقه بالمؤمن كلطفه بالكافر، وأن نعمته عليهما سواء، لم يخص المؤمن بفضل عن الكافر، وكفى بالوحي، وصريح المعقول، وفطرة الله، وا□عتبار الصحيح، وإجماع الأمة ردا لهذا القول وتكذيبا له.
وأيضا ما من أصلح إ□ وفوقه ما هو أصلح منه، وا□قتصار على رتبة واحدة كا□قتصار على الصلاح، فلا معنى لقولكم : «يجب مراعاة الأصلح» إذ□ نهاية له، فلا يمكن في الفعل رعايته، إلى غير ذلك مما يلزم القائلين بالصلاح والأصل، فإنه تعالى خلق الكافر الفقير المعذب في الدنيا

بالأسقام، والآ□م، والمحن، والآفات مع الكفر، والهفوات، وكيف ينهض لهم دليل وخلود الكفار في النار ليس بأصلح لهم من غير تفصيل»(١٢٢).

المبحث السادس: القياس الفاسد

القياس آلة العقل، وهو آلة ضابطة إذا استعملت بشرطها وفي محلها، أما إذا استعملت بغير شرطها وفي غير محلها فإنها تفسد التصورات وتفسد الأحكام العقلية والشرعية.

أما استعمالها في غير محلها فإن محل القياس حيث يغيب النص، فلا قياس في وجود النص.

وأما بغير شرطها فإن من شرط القياس الصحيح إدراك القدر المشترك والقدر المفترق، ومن ثم التسوية بين ماحقه التسوية، والتفرقة بين ما حقه التفرقة.

وأول من قاس قياسا فاسدا هو إبليس حين قال مستنكرا أمره بالسجود لآدم: ﴿أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ﴾.

قال أبو الحسين الملطي(١٢٣): «لما قص الله عز و جل شأن آدم، وأمره للملائكة بالسجود لآدم، ونبهنا على جملة الخبر وقصة إبليس، وكيف استكبر لما سبق فيه من الشقاء، وكيف قاس فقال: ﴿أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ﴾ فقال الله عز و جل: ﴿فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ﴾[الحجر:٣٤] إلى آخر السورة، وكان بقياسه الفاسد وتركه أمر ربه كافرا ملعونا، فسأل التأخير إلى يوم القيامة فأخره كما قص الله شأنه.

وقال جماعة من التابعين رحمهم الله: «إن أول من قاس إبليس (١٢٤)، وذلك أنهم يريدون أنه قاس ليدفع بقياسه ما أمر به نصا، لأن الله عز و جل أمره بالسجود لآدم فقال: ﴿أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ﴾ يريد أن قوة النار على الطين دليل على أن الأضعف حكمه أن يخضع للأقوى، وأن آدم أولى بالسجود، فوضع إبليس القياس في غير موضعه، لأن ذلك القياس من إبليس إنما يستعمل مثله إذا لم يقع أمر و□ نص، فلما استعمل إبليس هذا مع وجود النص والأمر اللازم كان مخطئا في قياسه، فصار بقياسه الفاسد كافرا ملعونا، وكان قبل من خيار الملائكة(١٢٥)، فنعوذ بالله من مكره وسوء ما سبق من الكتاب الأول.

قال أبو الحسين: وأهل البدع وافقوا إبليس في مجال القياس، وتركوا النص من التنزيل، وتأولوا تأويلا فاسدا، فعدلوا عن نص الخبر إلى القياس الفاسد»(١٢٦).

---

(١٢٢) لوامع الأنوار البهية(٣٣٠/١-٣٣٢) باختصار يسير.

(١٢٣) محمد بن أحمد بن عبد الرحمن، أبو الحسين الملطي العسقلاني: عالم القراآت،من فقهاء الشافعية: من أهل " ملطية " نزل بعسقلان، وتوفي بها سنة (٣٧٧هـ)، له تصانيف في الفقه وغيره، منها " التنبيه والرد على أهل ا□هواء والبدع، الأعلام للزركلي (٣١١/٥).

(١٢٤) منسوب إلى جعفر بن محمد الصادق ، العظمة لأبي الشيخ (١٦٢٦/٥)،و□بن سيرين والحسن البصري، انظر تفسير الطبري (٣٢٧/١٢).

(١٢٥) ذهب إلى ذلك كثير من العلماء، وقال آخرون إنه لم يك ملكا قط، بدليل معصيته والملائكة□ يعصون الله، وبدليل قوله تعالى: ﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓ﴾ [الكهف:٥٠]، قال الشنقيطي رحمه الله: وهذا خلاف مشهور، وأظهر شيء في محل النزاع آية الكهف هذه التي قالت: ﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ﴾ ثم رتب على كونه من الجن بالفاء ﴿فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓ﴾ فدل بمسلك الإيماء والتنبيه أن علة فسقه عن ربه كونه من أصل الجن□ من أصل الملائكة، هذا أظهر شيء في محل النزاع العذب النمير (١١٧/٣-١١٨).

(١٢٦) التنبيه والرد (ص٨١-٨٢).

وقال ابن تيمية رحمه الله: «أما القدرية الإبليسية فهم الذين يقرون بوجود الأمر و النهي من الله، و يقرون مع ذلك بوجود القضاء و القدر منه، لكن يقولون: هذا فيه جهل و ظلم، فإنه بتناقضه يكون جهلا و سفها، و بما فيه من عقوبة العبد بما خلق فيه يكون ظلما، و هذا حال إبليس، فإنه قال: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[الحجر:٣٩] فأقر بأن الله أغواه، ثم جعل ذلك عنده داعيا يقتضي أن يغوى هو ذرية آدم.

وإبليس هو أول من عادى الله، و طغى في خلقه و أمره، و عارض النص بالقياس، و لهذا يقول بعض السلف: «أول من قاس إبليس فإن الله أمره بالسجود لآدم فاعترض على هذا الأمر بأني خير منه، و امتنع من السجود، فهو أول من عادى الله، و هو الجاهل الظالم، الجاهل بما في أمر الله من الحكمة، الظالم باستكباره الذي جمع فيه بين بطر الحق و غمط الناس.

ثم قوله لربه :فبما أغويتني لأفعلن جعل فعل الله الذي هو إغواؤه له حجة له و داعيا إلى أن يغوي ابن آدم، و هذا طعن منه في فعل الله و أمره، و زعم منه أنه قبيح، فأنا أفعل القبيح أيضا، فقاس نفسه على ربه، و مثل نفسه بربه»[١٢٧].

وقال كذلك: «كل قياس عارض النص فإنه يكون إ فاسدا، وأما القياس الصحيح فهو من الميزان الذى أنزله الله و يكون مخالفا للنص قط، بل موافقا له»[١٢٨].

وقال ابن القيم رحمه الله : «إن أردت أن الأصل والفرع استويا في المقتضي والمانع، واختلف حكمهما، فهذا باطل قطعا، ليس في الشريعة منه مسألة واحدة، والشيء إذا شابه غيره في وصف وفارقه في وصف كان اختلافهما في الحكم باعتبار الفارق مخالفا ستوائهما باعتبار الجامع، وهذا هو القياس الصحيح طردا وعكسا، وهو التسوية بين المتماثلين والفرق بين المختلفين.

وأما التسوية بينهما في الحكم مع افتراقهما فيما يقتضي الحكم أو يمنعه فهذا هو القياس الفاسد، الذي جاء الشرع دائما بإبطاله، كما أبطل قياس الربا على البيع، وقياس الميتة على المذكى، وقياس المسيح عيسى عليه الصلاة و السلام على الأصنام، وبين الفارق بأنه عبد أنعم عليه بعبوديته ورسالته، فكيف يعذبه بعبادة غيره له مع نهيه عن ذلك وعدم رضاه به، بخلاف الأصنام.

فمن قال إن الشريعة تأتي بخلاف القياس الذي هو من هذا الجنس فقد أصاب، وهو من كمالها واشتمالها على العدل والمصلحة والحكمة، ومن سوى بين الشيئين شتراكهما في أمر من الأمور يلزمه أن يسوي بين كل موجودين شتراكهما في مسمى الوجود، وهذا من أعظم الغلط والقياس الفاسد، الذي ذمه السلف وقالوا أ:ول من قاس إبليس، وما عبدت الشمس والقمر إ بالمقاييس، وهو القياس الذي اعترف أهل النار في النار ببطلانه حيث قالوا ﴿ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[الشعراء:٩٧] وذم الله أهله بقوله:﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾[الأنعام:١] أي يقيسونه على غيره، ويسوون بينه وبين غيره في الإلهية والعبودية.

---

(١٢٧) مجموع الفتاوى (٢٣٩/١٦-٢٤٠).
(١٢٨) مجموع الفتاوى (٣٠٠/٦).

 Doi: 10.33850/jasis.2020.120798

وكل بدعة ومقالة فاسدة في أديان الرسل فأصلها من القياس الفاسد، فما أنكرت الجهمية صفات الرب وأفعاله وعلوه على خلقه، واستواءه على عرشه، وكلامه وتكليمه لعباده، ورؤيته في الدار الآخرة، إ□ من القياس الفاسد.

وما أنكرت القدرية عموم قدرته ومشيئته، وجعلت في ملكه ما□ يشاء، وأنه يشاء ما□ يكون، إ□ بالقياس الفاسد.

وما ضلت الرافضة وعادوا خيار الخلق، وكفروا أصحاب محمد ﷺ وسبوهم إ□ بالقياس الفاسد.

وما أنكرت الزنادقة والدهرية معاد الأجسام وانشقاق السماوات وطي الدنيا وقالت بقدم العالم إ□ بالقياس الفاسد.

وما فسد ما فسد من أمر العالم وخرب ما خرب منه إ□ بالقياس الفاسد، وأول ذنب عصي الله به القياس الفاسد، وهو الذي جر على آدم وذريته من صاحب هذا القياس ما جر، فأصل شر الدنيا والآخرة جميعه من هذا القياس الفاسد، وهذه حكمة□ يدريها إ□ من له اطلاع على الواجب والواقع، وله فقه في الشرع والقدر»[١٢٩].

الخاتمة

بعد أن انتهيت من كتابة هذه المسائل خلصت منها إلى النتائج التالية :

١. أن النص القرآني إذا فهم على الوجه اللائق بمن تكلم به وهو الله سبحانه وعلى وجه اللغة التي نزل بها فإنه يدل د□لة صريحة على ما دل عليه العقل الصحيح من منهج السلف الصالح في عامة الأبواب.
٢. قصص الأنبياء ليست مجرد قصص للتسلية وإن كان من مقاصدها تسلية النبي الله عليه وسلم وأصحابه إ□ أنها تتضمن معان غزيرة وعلوم متنوعة في التوحيد خاصة .
٣. قصة آدم عليه السلام ابتداء من إخبار الله للملائكة عنه ثم أمره بالسجود إلى آخر ما قصه الله علينا فيها عبر كثيرة وأصول عظيمة في التوحيد والتربية والأخلاق والسلوك.
٤. إثبات صحة منهج السلف الصالح في الأسماء والصفات، وفي مسائل الإيمان، وفي القدر، وتوحيد العبادة، وكذلك منهج التلقي وا□تباع وا□ستد□ل.

وأما التوصية فلا وصية أعظم من العناية بكتاب الله وزيادة التعمق في فهمه وتدبره وا□ستد□ل به وا□نطلاق منه في العلم والعمل .

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

---

(١٢٩) أعلام الموقعين (١/٢٦-٢٧).

المصادر

١. الإبانة الكبرى، عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان العكبري المعروف بابن بطة العكبري، ت:رضا معطي ورفقاه، دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض ، ط : متعددة.ابن ماجة

٢. السنن، سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي، دار الفكر ، ت: محمد محيي الدين عبد الحميد

٣. محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، رمادى للنشر - دار ابن حزم - الدمام - بيروت، ط١ ، ١٤١٨ - ١٩٩٧، تحقيق : يوسف أحمد البكري - شاكر توفيق العاروري.

٤. المسند ، أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني، مؤسسة قرطبة – القاهرة.

٥. إرواء الغليل للألباني ، ط٢ المكتب الإسلامي .

٦. المسند ، أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني، مؤسسة قرطبة – القاهرة.

٧. الأعلام ، خير الدين الزركلي ، دار العلم للملايين ، ط٨. الإنصاف

٨. صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، ت: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، ط: الأولى، ١٤٢٢هـ

٩. إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء، الناشر : مكتبة المعارف – بيروت

١٠. تاريخ الأمم والملوك، محمد بن جرير الطبري أبو جعفر، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧اا

١١. التاريخ الكبير، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم أبو عبدالله البخاري الجعفي، الناشر : دار الفكر، تحقيق : السيد هاشم الندوي

١٢. الكتاب: تاريخ دمشق، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر،دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ت:عمرو بن غرامة العمروي، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م

١٣. تذكرة الحفاظ ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان،ط ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م

١٤. السنن، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ت : أحمد محمد شاكر وآخرون

١٥. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان□بن سعدي،ط١، مؤسسة الرسالة، ت :عبدالرحمن معلا اللويحق.

١٦. جامع البيان في تأويل القرآن□بن جرير الطبري : دار الكتب العلمية ، ط١ ، ١٤١٢هـ

١٧. تفسير القرآن العظيم□بن كثير ، دار طيبة ، ط١ ، ١٤٠٨هـ، ت : سامي السلامة

١٨. الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ، دار الكتب العلمية ، ط ١٤٠٨هـ.

١٩. التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع ، أبو الحسين محمد بن أحمد بن عبدالرحمن الملطي الشافعي، المكتبة الأزهرية للتراث،ط٢، ١٩٧٧ تحقيق : محمد زاهد بن الحسن الكوثري

٢٠. تهذيب الأسماء واللغات، محيى الدين بن شرف النووى،المتوفسنة ٦٧٦ هـ تحقيق مصطفى عبد القادر عطا

٢١. تهذيب التهذيب□بن حجر، ط١، دار الفكر.
٢٢. خلق أفعال العباد، محمد بن إبراهيم بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري، ت : د. عبدالرحمن عميرة، دار المعارف السعودية – الرياض
٢٣. الدرر السنية.
٢٤. الذيل على طبقات الحنابلة، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي، ت: د عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، مكتبة العبيكان – الرياض، ط١، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٥ م
٢٥. الرد على الجهمية، عثمان بن سعيد بن خالد بن سعيد أبو سعيد الدارمي، دار ابن الأثير - الكويت، ط٢، ١٩٩٥ : بدر بن عبدالله البدر
٢٦. زاد المسير في علم التفسير□بن الجوزي ، المكتب الإسلامي ، ط٤.
٢٧. السنة، عمرو بن أبي عاصم الضحاك الشيباني، ت:محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي – بيروت، ط:الأولى ، ١٤٠٠هـ.
٢٨. السنة، عبد الله بن أحمد بن حنبل الشيباني، ت : د. محمد سعيد سالم القحطاني، دار ابن القيم - الدمام، ط: الأولى ١٤٠٦هـ.
٢٩. سير أعلام النبلاء للذهبي ، مؤسسة الرسالة ، ط ٨ ، تحقيق شعيب الأرناؤوط ورفقاءه.
٣٠. شذرات الذهب□بن العماد ، دار إحياء التراث العربي .
٣١. شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي اللالكائي، ت: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، دار طيبة – السعودية،ط: الثامنة، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م
٣٢. شرح العقيدة الطحاوية ، صدر الدين محمد بن علاء الدين علي بن محمد ابن أبي العز الحنفي،ت: جماعة من العلماء، تخريج: ناصر الدين الألباني، دار السلام للطباعة ، ، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م
٣٣. شرح المقاصد للتفتازاني ، دار عالم الكتب ، ط١ ، ١٤٠٩هـ ، عبدالرحمن عميرة .
٣٤. شرح مشكل الآثار
٣٥. الشريعة، أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجري البغدادي، ت:الدكتور عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي، دار الوطن - الرياض / السعودية، ط: الثانية، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.
٣٦. شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، دار الفكر - بيروت ، ١٣٩٨ – ١٩٧٨،ت: محمد بدر الدين أبو فراس النعساني الحلبي
٣٧. الصارم المسلول على شاتم الرسول، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، دار ابن حزم - بيروت، ط١،تحقيق : محمد عبد الله عمر الحلواني ، محمد كبير أحمد شودري
٣٨. صحيح الترغيب والترهيب، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية

٣٩. سلسلة الأحاديث الصحيحة، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، ط: الرابعة ١٤٠٥ه.
٤٠. طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ، ط٢ ، دار هجر ، ت : عبدالفتاح الحلو ورفيقه .
٤١. العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير ، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي ،ت: خالد بن عثمان السبت، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، ط: الثانية، ١٤٢٦ ه .
٤٢. مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، طبعة وزارة الأوقاف السعودية .
٤٣. الفتاوى الكبرى ، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، دار المعرفة – بيروت، ط:الأولى ، ١٣٨٦ه،ت : حسنين محمد مخلوف
٤٤. فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، بعناية : محب الدين الخطيب، دار المعرفة - بيروت ، ١٣٧٩ه.
٤٥. الفرق بين الفرق للبغدادي ، دار الآفاق الجديدة ، ط٥ ، ١٤٠٢ه .
٤٦. الفصل في الملل والأهواء والنحل ابن حزم ، دار الجيل ، ط ١٤٠٥ه ، محمد نصر ورفيقه .
٤٧. الكامل في التاريخ ،ابن الأثير: عز الدين علي بن محمد بن محمد الشيباني، دار الكتاب العربي ، ط١ ، ١٤١٧ه ، ت : عمر عبدالسلام تدمري .
٤٨. اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني، ت: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان،ط١ ١٤١٩ ه -١٩٩٨م
٤٩. لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي، مؤسسة الخافقين ومكتبتها - دمشق، ط٢
٥٠. مختصر العلو
٥١. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، دار الكتاب العربي - بيروت،ط٢ ، ١٣٩٣ - ١٩٧٣،تحقيق : محمد حامد الفقي
٥٢. المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى ، ١٤١١ ه– ١٩٩٠م، ت : مصطفى عبد القادر عطا
٥٣. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ت: محمد فؤاد عبد الباقي.
٥٤. معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، حافظ بن أحمد حكمي، دار ابن القيم - الدمام،ط١ ، ١٤١٠ - ١٩٩٠، تحقيق : عمر بن محمود أبو عمر
٥٥. معجم المؤلفين ، عمر رضا كحالة، مكتبة المثنى - بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت.
٥٦. مفتاح دار السعادة ومنشور و□ية العلم والإرادة، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، دار الكتب العلمية – بيروت

Doi: 10.33850/jasis.2020.120798

٥٧. مفردات ألفاظ القرآن، الحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الأصفهاني أبو القاسم، دار القلم. دمشق
٥٨. مقا□ت الإسلاميين، علي بن إسماعيل الأشعري أبو الحسن، دار إحياء التراث العربي – بيروت .
٥٩. الملل والنحل، محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني، دار المعرفة – بيروت ، ١٤٠٤ه، ت: محمد سيد كيلاني.
٦٠. من منهاج السنة□بن تيمية : مكتبة ابن تيمية ، ط٢ ، ت :محمد رشاد سالم .
٦١. تفسير ابن عثيمين، موقع الشيخ ابن عثيمين
٦٢. ميزان ا□عتدال للذهبي ، ط دار المعرفة ، ت : علي محمد البجاوي .
٦٣. السنن الكبرى، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي، ت: حسن عبد المنعم شلبي ، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط: الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م.
٦٤. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، المؤلف: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.